JOURNAL of ARCHAEOLOGY & TOURISM

P-ISSN: 2812-6378 ONLINE-ISSN: 2812-6386

Journal Home Page: https://jatmust.journals.ekb.eg/

العلاقة بين الآثار والتاريخ دراسة حول تكامل المنهج العلمي وأهميته في تحقيق الأحداث التاريخية الإسلامية

| Received May 15th 2022 | Accepted October 3rd 2022 | Available online February 7th 2023 |
| DOI 10.21608/jatmust.2023.284430 |

محمد حمزة إسماعيل الحداد
أستاذ الاثار الإسلامية
عميد كلية الآثار الأسبق
كلية الآثار، جامعة القاهرة
الجيزه، مصر
hamzahadad@gmail.com

الملخص

الآثار والتاريخ صنوان لا يفترقان وعلمان متضامنان، بل يمكن القول بأنه ما من ترابط بين علم وعلم يعدل تلك العلاقة بين الآثار والتاريخ، إنهما الوجهان لقطعة عملة واحدة فكلاهما يكمل الآخر، ومن ثم لا غنى لأحدهما عن الأخر.

وإذا كانت الروايات والنصوص التاريخية تشكل المنبع الذي ينهل منه المؤرخ الحديث في رصد حركة التاريخ الإسلامي وتسجيل أحداثه ووقائعه وتتبعها في مختلف الأقطار الإسلامية على مدار العصور المتعاقبة، فإن الآثار الإسلامية عامة والنقوش الكتابية منها خاصة تعد من المصادر الأصيلة التي يصعب الطعن في قيمتها أو التشكك في أصالتها فهي من جهة معاصرة للحقائق والأحداث التي تسجلها كما إنها محايدة فتعوض النقص وتسد الفراغ في المصادر التاريخية، ومن جهة ثانية فإنها تمتاز بأن تواريخها صحيحة –إلا فيما ندر– والأعلام التي تذكر بها يقل التحريف والتصحيف فيها، ومن جهة ثالثة فهي تفيد في مراقبة أقوال المؤرخين وإثبات صحتها أو الكشف عن حقائق كثيرة جديدة مستمدة منها لم تذكرها أو تعرض لها المصادر التاريخية علي اختلافها.

الكلمات الدالة:

الآثار الإسلامية؛ النقوش الإسلامية؛ المسكوكات الإسلامية؛ التاريخ الإسلامى، المصادر التاريخية.

JOURNAL of ARCHAEOLOGY & TOURISM

P-ISSN: 2812-6378 ONLINE-ISSN: 2812-6386
Journal Home Page: https://jatmust.journals.ekb.eg/

THE RELATION BETWEEN ARCHAEOLOGY AND HISTORY: STUDYING THE INTEGRATION OF THE SCIENTIFIC METHOD AND ITS IMPORTANCE IN DOCUMENTING THE ISLAMIC HISTORICAL EVENTS

| Received May 15th 2022 | Accepted October 3rd 2022 | Available online February 7th 2023 |
| DOI 10.21608/jatmust.2023.284430 |

Mohamed Hamza El-Haddad

Prof. of Islamic Archaeology
Former Dean of the Faculty of Archaeology, Cairo University
Giza, Egypt

hamzahadad@gmail.com

ABSTRACT

Archaeology and history are two inseparable sciences, i.e., there is no correlation between two disciplines equal that relation between archaeology and history. They are the two sides of one coin, as both complement each other, and therefore one is indispensable for the other.

If the historical narratives and scripts constitute the source from which the modern historian monitors the movement of Islamic history, recording its events and incidents and tracking them in various Islamic countries throughout the successive ages, then the Islamic monuments in general and the inscriptions in particular are among the primary sources whose value are difficult to challenged or questioned. On one hand, contemporary to the facts and events that they record, and they are also neutral, thus compensates the deficiency and fills the void in the historical sources. While inscriptions, on the other hand, they are distinguished by their correct dates –except in rare cases– and the less distorted names. Furthermore, they are useful in observing the statements of historians and proving their authenticity or revealing many new facts derived from them, especially those missed or not presented in different historical sources.

KEYWORDS:

Islamic monuments; Islamic inscriptions; Islamic numismatics; Islamic history, historical sources.

مقدمة

يهدف إلي إبراز أهمية العلاقة القوية بين الآثار والتاريخ؛ وما يمكن أن يحققه تكامل المنهج العلمي بينهما من نتائج مهمة للغاية في تحقيق الأحداث التاريخية في العصر الإسلامي وبالتالي يمكن تقديم صورة نقية هي أقرب ما تكون إلي الحق والواقع.

جوهر هذا البحث يناقش مدى اتفاق النقوش[1] الآثارية وتطابقها مع النصوص والروايات التاريخية، وهو الأمر الذي يجعل من هذه الأخيرة حقيقة مؤكدة وبالتالي فإنه يعزز ثقتنا بمؤرخينا، وحسبنا أن نستشهد للدلالة علي ذلك بما ذكره الأنصاري بقوله "*والحقيقة الماثلة للعيان هي أنه إذا أتفق التاريخ الخبري والشاهد الأثري علي حدوث أمر ما فإن ذلك يكون حقيقة مؤكدة لا شبهة فيها ولا التواء، وإذا انفرد التاريخ الخبري بحدوث أمر ما فإنه لابد أن يوضع تحت مجهر الفحص والدراسة المستوعبة ليتوصل إلي رجحان وقوعه أو نفي وقوعه.. أما إذا انفرد الشاهد الأثري بحدوث أمر ما فإن الغالب أن يكون حدوثه صحيحًا، لأنه تصوير صامت لا يتأثر غالباً بالدعاية أو الملق.*"[2]

والحق أننا نملك نماذج عديدة ومتنوعة يمكن على ضوئها إثبات مدى تطابق واتفاق النصوص والروايات التاريخية مع النقوش الأثرية. وحسبنا أن نستشهد هنا ببعض نماذج تمثل كافة جوانب التاريخ الإسلامي من عصور وأقطار مختلفة. وسوف نتتبع تلك النماذج المختارة في العديد من الأقطار العربية والإسلامية على ضوء طبيعة الموضوعات التي تمثلها، على أن نراعي الترتيب الزمني والتسلسل التاريخي عند تناول كل موضوع منها.

أولا: الجزيرة العربية

أ- الحجاز:

1- من التاريخ الاقتصادي في العصر الأموي: 41-132هـ/661 – 749م

شهدت الجزيرة العربية عامة والحجاز خاصة إبان العصر الأموي نشاطًا وازدهارا حضاريا على نطاق واسع، وذلك بفضل الاهتمام الذي وجهه خلفاء بني أمية وولاتهم، وقد أكدت الأدلة الآثارية الباقية حقيقة ذلك.

وحسبنا أن نشير هنا إلى ما ورد في بعض المصادر التاريخية من إشارات يستدل منها على مدى حرص خلفاء بني أمية وولاتهم علي تشجيع الزراعة، وبذل المحاولات الجادة لنموها وتحسينها عن طريق

---

[1] الحداد، النقوش الكتابية الإسلامية وقيمتها التاريخية، المبحث الأول، سلسلة دراسات اثارية، العدد 2، الرياض، الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، رمضان – شوال 1420هـ/ يناير 2000م، ص 1-377، أشكال رقم 1-58؛ المبحث الثاني، سلسلة دراسات آثارية، العدد 3، (قيد النشر). وقد خصص المبحث الأول لإبراز أهمية النقوش في مراقبة أقوال المؤرخين وتصحيح الأخطاء التاريخية الشائعة وحسم الخلاف بين المؤرخين، أما المبحث الثاني فقد خصص لإبراز أهمية النقوش في إماطة اللثام عن حقائق جديدة مستمدة منها ولم ترد في المصادر التاريخية . هذا وتجدر الإشارة إلي أن عدم ذكر معلومات النشر الكاملة لعدد من المصادر ومراجع البحث الذي بين أيدينا إنما يرجع إلي أن هذه المصادر مذكورة كاملة في المبحث الأول من البحث المشار إليه آنفًا، والذي يعد البحث الذي نحن بصدده استكمالاً له ولذلك فإنه حرصاً علي عدم زيادة حجم البحث أشرت إلي هذه المصادر وتلك المراجع بشكل مختصر، أما المصادر والمراجع التي لم تستخدم في المبحث الأول فأشرت إليها كاملة حال ورودها لأول مرة.

[2] الأنصاري، بين التاريخ والآثار، 12.

حفر الآبار والعيون وشق الطرق وإقامة السدود في العديد من المدن الحجازية، مثل مكة والطائف والمدينة المنورة وخيبر والعقيق،[3] وهو الأمر الذي نتج عنه في النهاية توسع الرقعة الزراعية وزيادة الإقطاعات والملكيات الزراعية خاصة.[4]

والحق أن الأدلة المادية المستمدة من المصادر الآثارية عامة والنقوش خاصة تثبت وتؤكد حقيقة ما ورد في تلك المصادر؛ إذ عثر على عدة سدود ترجع إلى العصر الأموي،[5] ومنها سدان للخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان (41-60هـ/661-679م) أحدهما بالمدينة المنورة ويعرف بسد الخنق،[6] والآخر بالطائف ويعرف بسد سيسد،[7] ويرجع تاريخ إنشاء هذا السد الأخير إلى عام 58هـ/677م كما سنشير فيما بعد. ومنها سدود الحجاج بن يوسف الثقفي (ت 95هـ/713م) التي لا تزال قائمة إلي اليوم في المعيصم بمكة المكرمة.[8]

أما عن سد معاوية المعروف بسد سيسد بالطائف فهو يتضمن النقش الإنشائي له بصيغة "هذا السد لعبد الله معوية/ أمير المؤمنين بنية عبد الله بن صخر/ بإذن الله لسنة ثمن وخمسين 1/ للهم اغفر لعبد الله معاوية 1/ أمير المؤمنين وثبته وانصره ومتع 1/ المؤمنين به كتب عمرو بن حباب (جناب أو خباب) (شكل 1، لوحة 1-2).

لوحة (1): نقش إنشاء سد معاوية بالطائف المؤرخ بسنة 58 هـ/677م . (عن : مجلة أطلال)

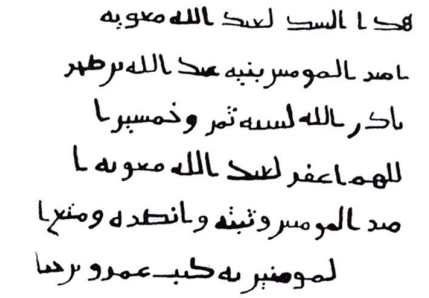

شكل (1) تفريغ لنقش إنشاء سد معاوية بالطائف (عن جورج مايلز)

ولهذا السد قيمته الأثرية[9] والتاريخية، وهذه الأخيرة هي ما يعنينا في هذا المقام، فأنه علي الرغم من أن هذا السد لم يرد له ذكر –كغيره من السدود الأموية المشار إليها– في المصادر التاريخية –المعروفة لدينا حتى

[3] الأصفهاني، بلاد العرب،401 ؛ الحربي، المناسك، 330، 456 ؛ السمهودي، وفاء الوفا، جـ3، 1044، 1055، 1072، جـ4، 1231، 1239، 1309.

[4] السيف، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد، 47-58.

[5] الراشد، الآثار الإسلامية في الجزيرة العربية، 210-212 ؛ خان، سدود اثرية في منطقة الطائف، 125-135؛ الحارثي، مدخل؛ سد من العصر الأموي في وادي داماء، 66-98.

[6] المعيقل، المواقع الأثرية في الجزيرة العربية، 350.

[7] ماهر، الطائف و وج وما بها من اثار النبي صلي الله عليه وسلم، 39-40 ؛ الفعر، تطور الكتابات والنقوش، 167 ؛ الحارثي، النقوش العربية، ص 79، التل، تطور، ص29,33، الصقار، سد معاوية في الطائف، 23-44 (ومن الملاحظ أن الصقار قد ركز على دراسة نقطتين رئيسيتين هما تاريخ الكشف عن السد وهويته من جهة وشخصية بناته من جهة ثانية).

[8] الأزرقي، أخبار مكة، جـ2، 182؛ الفاكهي، تاريخ مكة، جـ4، 21، 761، 771 هامش 1، جـ5، لوحة 73-64.

[9] Miles, Early Islamic Inscriptions Near, 236-242; Grohamans, Expedition, 56-58.

– المنجد، دراسات، 101-103 ؛ الفعر، تطور الكتابات والنقوش، 170-173 ؛ حسين، الاعجام، 237-241.

الآن– إلا أن يعد دليلاً مادياً باقياً يثبت ويؤكد حقيقة ما أوردته بعض المصادر من أنه كانت للخليفة معاوية بن ابي سفيان أقطاعات وأملاك بالطائف،[10]، وهو الأمر الذي يفسر لنا بناء ذلك السد هناك.

لوحة (2)
الدرهم الرسولي الجديد (الروبجي)
ضرب المهجم سنة 736هـ/ 1335م
(عن: فيصل الطميحي)

العناية بالطرق ومرافقها:

أ- العصر العباسي:

استمرت العناية بالطرق ومرافقها إبان العصر العباسي، ومن أهمها بطبيعة الحال طرق الحج، ولاسيما طريق الحج من الكوفة إلى مكة وهو الذي اشتهر باسم درب زبيدة – نسبة إلي السيدة زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد والتي كانت تكنى بأم جعفر وكانت وفاتها في عام 216هـ/832م-؛ حيث أشارت المصادر التاريخية إلى اهتمام خلفاء بني العباس وبعض نسائهم زيادة على ولاتهم بعمارة الطريق وإصلاحه وتوسيعه وتزويده بالمرافق المهمة كالآبار والبرك والأحواض والمنارات والأعلام والأميال، زيادة على الاستراحات والقصور والحصون وغير ذلك مما هو مبسوط في تلك المصادر[11] من جهة وتؤكده الأدلة الآثارية الباقية[12] من جهة أخرى.

غير أن ما يعنينا في هذا المقام هو الربط بين بعض النقوش الآثارية وبين ما ورد في المصادر المختلفة، ومن ذلك ما أشارت إليه تلك المصادر من اهتمام بعض خلفاء بني العباس الأوائل بعمارة طريق الحج ووضع العلامات التي توضح مسار الطريق كالأعلام والمنارات والأميال –الصُوى– ومنهم الخليفة أبو العباس المشهور بالسفاح (132-136هـ/749-753م) وقد أمر بوضع المنار والأميال من الكوفة إلى مكة في عام 134هـ/751م.

والخليفة أبو جعفر المنصور (136-158هـ/753-774م) وقد أمر بإنشاء منازل على طول الطريق، والخليفة محمد المهدي (158-169هـ/774-785م) وقد أمر باتخاذ المصانع في كل منهل وإنشاء المنازل وتجديد الأميال والبرك وحفر الركايا مع المصانع منذ عام 161هـ/777م وولي ذلك كله يقطين بن

[10] اليعقوبي، تاريخ، جـ2، 250 ؛ البلاذري، فتوح البلدان، جـ1، تحقيق المنجد، 66؛ ابن قتيبة، الامامة والسياسة، جـ1، 176، الفعر، تطور الكتابات والنقوش، 168-169.

[11] الطبري، تاريخ الرسل، جـ7، 465، جـ8، 136؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ8، 247 ؛ ابن الأثير، الكامل، مج5، 240 ؛ مجهول، العيون والحدائق، جـ3، 211 ؛ ابو الفدا، المختصر، جـ2، 8 ؛ ابن خلدون، العبر، مج3، 209، القلقشندي، مآثر الأنافة، جـ1، 186، السيوطي، تاريخ الخلفاء، 273.

[12] الراشد، درب زبيدة، 47-465.

موسي الذي ظل مسئولاً عن الطريق حتى عام 171هـ/787م[13] وتؤكد الأدلة المادية المستمدة من النقوش الآثارية حقيقة ما أوردته هذه المصادر عن تلك الإصلاحات؛ إذ تم العثور علي أربعة أحجار ميليه – صُوى – ذات علاقة مباشرة بطريق الحج من الكوفة إلي مكة المكرمة[14] (شكل رقم 2) وقد رجّح الراشد أن كلا الميلين الأول والرابع (شكل رقم 3)، ربما يعودان إلي عهد كل من الخليفتين أبو العباس السفاح وابو جعفر المنصور والحجر الميلي الثاني إلى عهد الخليفة المهدي.[15] (شكل رقم 4)

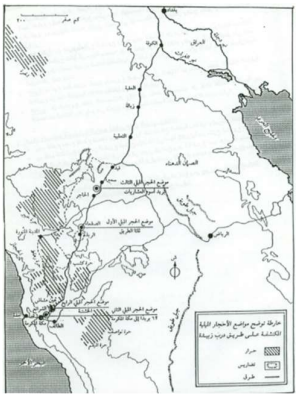

شكل (2): خريطة توضح مواضع النقوش الميلية العباسية المكتشفة على طريق درب زبيد

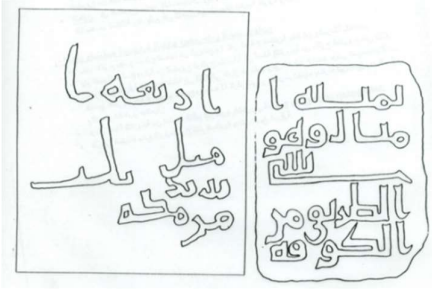

شكل (3): تفريغ لنقش كل من الميلين الأول والرابع في عهد السفاح أو المنصور (132–158هـ/ 749–774م) (أشكال 2–5، عن : سعد الراشد)

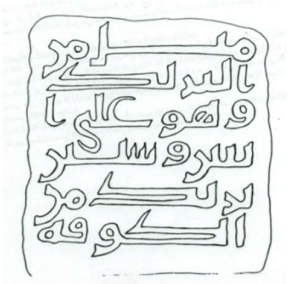

شكل (4): تفريغ لنقش الميل الثاني من عهد الخليفة العباسي المهدي

أما الحجر الميلي الثالث (شكل رقم 5) فيتضمن اسم الخليفة المهدي ويقطين بن موسي (ت 186هـ/802م) الذي عهد إليه المهدي بمهمة إجراء هذه الإصلاحات كما سبق القول، وهو ما يستدل من صيغة نقش هذا الحجر ومضمونها "هذا ما أمر به 1/ لمهدي عبد الله/ عبد الله أمير 1/ المؤمنين علي يدي/ يقطين بن موسي/ هذا علي اثني/ عشر ميلاً من بريد/ أسود العشار [يا] ت."[16]

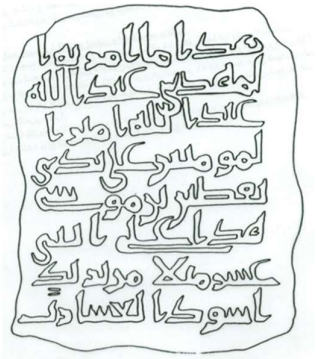

شكل (5): تفريغ لنقش الميل الثالث باسم الخليفة العباسي المهدي ويقطين بن موسى.

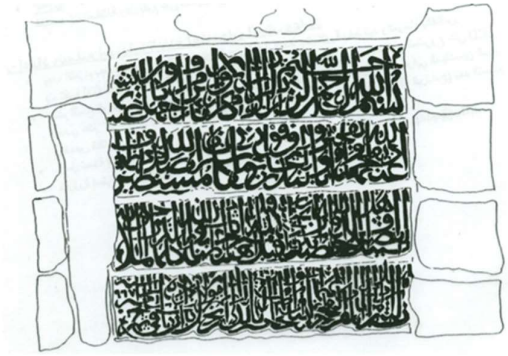

شكل (6) تفريغ لنقش إنشاء بئر الأمير عثمان بن أزدمر باشا المعروف ببئر الورادة بالمويلح المؤرخ بسنة 967هـ/1559م (عن:علي غبان)

[13] الطبري، تاريخ الرسل، جـ7، 465 ؛ ابن الأثير، الكامل، مج5، 042 ؛ ابو الفدا، المختصر جـ2، 8 ؛ القلقشندي، مآثر الأنافة، جـ1، 186؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، 273.

[14] الراشد، أربعة أحجار ميلية من العصر العباسي، 123–142 (أعيد نشر هذا البحث في كتاب درب زبيدة لنفس المؤلف، 234–352).

[15] الراشد، أربعة أحجار، 124–125, 134.

[16] الراشد، أربعة أحجار، ص 124، 130–131.

ب- العصر العثماني:

استمرت العناية بطرق الحج إبان العصر العثماني، ولا سيما طريق الحج المصري والشامي، غير أن ما يعنينا في هذا المقام هو الربط بين أحد النقوش الآثارية المكتشفة حديثًا، وبين ما أورده الجزيري بخصوص عمارة قلعة المويلح وحفر عدد من الآبار هناك؛ حيث أشار إلى أن مشروع بناء تلك القلعة والآبار كان من المتجددات في مناهل درب الحاج، وقد أمر بإنشاء القلعة والي مصر يومئذ علي باشا (966-967هـ/1558-1559م)، في عام 967هـ/ 1559م، وعهد بإنجاز هذه المهمة إلى الأمير قيت بن عبد الله الداودي فأتمها على خير وجه وأحسن حال، وقد وصف الجزيري القلعة، ثم أضاف قائلاً "*واعتني المعمار بحفر الآبار هناك فحفر قيت المذكور بئراً وجعلها وقفاً لمولانا* (الخندكار) *الأعظم، وبني بئراً ثانية وجعلها وقفا له، ثم لما توجه الأمير عثمان بن أزدمر باشا أميراً على الركب في تلك السنة* – أي 967هـ/1559م- *أمر ببناء بئر ثانية ففعل ذلك، ثم قبل عود الركب إلى المويلح وجدها فرغت* -أي تم الانتهاء منها- *فوقفها على المسلمين فتم بها خمسة آبار، وذكر لي* -أي للجزيري- *قيت المعمار أن يحفر بئرًا داخل القلعة فيصير هناك قديماً وحديثاً ستة آبار وشربت من ماء المتجددات فرايته عذباً سائغا شرابه.*"[17]

والحق أن الأدلة المادية المستمدة من المصادر الآثارية عامة والنقوش خاصة تثبت وتؤيد حقيقة ما ذكره الجزيري -بوصفه شاهد عيان أولا ومؤرخ ثانيا- فالقلعة ما تزال باقية في حالة جيدة حتى اليوم،[18] وينطبق تخطيطها مع وصف الجزيري، كما أن الآبار الستة ما تزال باقية أيضًا حيث أن القلعة تقع علي بعد 500م إلى الجنوب من بئرين مملوكين أمر بإنشائهما الأمير الحاج آل ملك الجوكندار في عهد السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون (ت741هـ/1340م) وقد وصفها الجزيري بأنها آبار قديمة حيث إنها تسبق الآبار العثمانية بما يزيد عن قرنين وربع القرن.

أما الآبار الأربعة التي أنشئت في عام 967هـ/1559م فما تزال هي الأخرى باقية فإحداهن تقع في فناء القلعة -وهو ما يتطابق مع قول الجزيري حين ذكر له قيت المعمار أنه يريد أن يحفر بئراً داخل القلعة كما سبق القول- والثلاث الباقيات يقعن في بطن الوادي إلي الشرق من القلعة، وفي طي أحدي هذه الآبار الثلاثة يوجد نقش إنشائي يؤرخ لعمارة ذلك البئر، وهو بئر الأمير عثمان بن أزدمر باشا – وهو يتطابق مع قول الجزيري من أن الأمير عثمان بن أزدمر باشا عندما كان أميراً علي ركب الحاج في عام 967هـ/1559م أمر بإنشاء بئر ثالثة، وقد تم الانتهاء منها قبل عودة الركب إلي المويلح – ويتضمن هذا النقش أربعة أسطر متوازية نفذت بخط الثلث المركب، (شكل رقم 6) غير أن ما يعنينا منها هو السطر الرابع والأخير الذي يشير إلي إنشاء البئر وتاريخ الفراغ منه وذلك بصيغة "... أنشأ هذا البير المبارك المقر الفخري عثمان أغا أحد أمراء السناجق وأمير الحاج الشريف بالديار المصرية نجل مولانا أزدمر باشا في سلخ شهر الحجة سنة 967."[19]

---

[17] الجزيري، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة، جـ2، 1379-1381.

[18] تم الفراغ من بناء هذه القلعة في عام 968هـ/1560م كما يستدل من النقش الإنشائي المثبت بصدر مدخل القلعة، غبان، الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، 236-238 شكل 106؛ ولمزيد من التفاصيل عن عمارة القلعة وتخطيطها وعناصرها المختلفة انظر، عجيمي، قلعة المويلح، 29-53، 71-441.

[19] غبان، نقش غير منشور 313 ،613، أشكال 4-9، الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، 235-236، شكل 104.

هذا ومن اللافت للنظر أن بئر الأمير عثمان، والتي تعرف ببئر الورادة، هي البئر الوحيدة بين الآبار العثمانية الأخرى المشار إليها، التي تحوي نقشها الإنشائي، ونحن نتفق مع ما ذكره غبان حول هذا الموضوع بقوله ولعل الأمير عثمان بن ازدمر طلب ذلك بنفسه من المشرف علي العمارة، لكي يعرف أن إنشاء هذا البئر عمل معماري مستقل عن مشروع بناء القلعة والآبار الثلاثة الاخري، فقد كان عثمان بن ازدمر باشا محباً للشهرة والظهور، وقد وصل سريعاً إلي قمة السلم العسكري في عهده بفضل مكانة ابيه، ومثله يحرص علي إشهار عمله الطيب.[20]

ب- اليمن:

1- من التاريخ السياسي في العصر العباسي الثاني: 232-334هـ/ 846-945م:

رصدت المصادر التاريخية ما شهدته اليمن من أحداث واضطرابات وقلاقل في الربع الأخير من القرن 3هـ/9م، غير أن ما يعنينا في هذا المقام هو أن قيام دولة الأئمة الزيدية كان من أهم ما تمخضت عنه هذه الأحداث وتلك الإضرابات، وقد تتبعت المصادر الإمام الهادي إلي الحق يحيي بن الحسين –وهو مؤسس هذه الدولة– منذ خروجه إلي بلاد اليمن عام 280هـ/893م وعودته إليها مرة ثانية في عام 284هـ/897م وما تبع ذلك من تأسيس الدولة في صعدة ومحاولة توسيع رقعتها في صنعاء وغيرها، وهو ما ورد في المصادر المختلفة على نحو مفصل،[21] وعلى الرغم من أن الإمام يحيى قد فشل، حتى وفاته في عام 298هـ/910م، في توحيد اليمن تحت زعامته، إلا أنه نجح في تأسيس أول دولة مستقلة استقلالا تاما عن الخلافة العباسية، كما أرسى مبادئ المذهب الزيدي، وضرب السكة باسمه كأبرز مظهر من مظاهر الاستقلال، وتؤكد الأدلة المادية المستمدة من النقوش الآثارية وبخاصة نقوش السكة حقيقة ما رددته المصادر التاريخية، إذ أنه ما تزال توجد عدة دنانير ضربت في كل صعدة وصنعاء محفوظة في عدد من المتاحف العربية والإسلامية والعالمية وأقدم المعروف منها، حتى الآن، مؤرخ بعام 288هـ/900م ضرب صنعاء، ويلي ذلك نماذج أخرى مؤرخة بعام 293هـ وعام 296هـ/908م وعام 298هـ/910م[22] (شكلا رقم 7-8).

شكل (7): تفريغ لنقش سكة ذهبية (دينار) (محفوظة في متحف الآثار والمتاحف بكلية الآداب–جامعة الملك سعود) ضرب صنعاء سنة 288هـ/ 900م باسم الهادي إلى الحق(عن: سعد الراشد)

شكل (8): تفريغ لنقش سكة ذهبية (دينار) (محفوظة بالمتحف البريطاني بلندن) ضرب صعدة سنة 298هـ/ 910م (عن: فرج الله يوسف)

[20] غبان، نقش غير منشور، 319.

[21] ابن عبد المجيد، تاريخ اليمن المسمي بهجة الزمن، 34-36؛ الخزرجي، العسجد المسبوك، 35-36، ابن الحسين، غاية الأماني، مج1، 165-168، 179-202، تعليقات الأكوع في كتاب قرة العيون لابن الديبع، مج2، 168-174؛ العلوي، سيرة الهادي إلي الحق يحيي بن الحسين، 10-90؛ الفقي، اليمن في ظل الإسلام، 104-110؛ ماضي، دولة اليمن الزيدية، نشأتها – تطورها – علاقاتها، 23-32.

[22] فهمي، دنانير يمنية نادرة ضرب صعدة، 184-187 ؛ العش، النقود العربية الإسلامية المحفوظة، جـ1، 40، المسكوكات في الحضارة العربية الإسلامية، 212 ؛ الراشد، دنانير عباسية نادرة ضرب صنعاء، 569-574؛ الجابر، النقود العربية الإسلامية في متحف قطر، جـ2، 322-324؛ يوسف، نقود الخارجين، 123-133؛ منصور، النقود الإسلامية وأهميتها، 316-317.

وتتضمن نقوش هذه الدنانير في مركز الوجه شهادة التوحيد واسم الرسول صلي الله عليه وسلم بصيغة (محمد رسول الله) أو شهادة التوحيد وعبارة "الهادي إلي الحق/ أمير المؤمنين"، وفي الهامش الداخلي للوجه بسم الله ومكان وتاريخ الضرب سواء صعده أو صنعاء، أما الهامش الخارجي للوجه فيتضمن آية قرآنية شريفة نصها "لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله" وهناك نماذج أخري تقتصر علي الهامش الداخلي فحسب وهو المتضمن البسملة غير الكاملة ومكان وتاريخ الضرب.

أما مركز الظهر فيتضمن الصيغة التالية "الهادي إلي /الحق أمير/ المؤمنين/ ابن رسول الله"، ويوجد دينار من هذا الطراز بالمتحف البريطاني نقشت بمركز ظهره سورة الإخلاص كاملة، واقتصر الظهر علي هامش واحد يتضمن إما "محمد رسول الله أرسله بالهدي ودين الحق ليظهره علي الدين كله" أو "جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا وننزل من القران ما هو شفاء".

وعلى ضوء هذه النقوش يتضح أن الإمام يحيى بن الحسين قد تلقب بأمير المؤمنين، وهو بذلك لم يكتف بالخروج عن الخلافة العباسية، بل انتزع حق الخليفة العباسي، ونصب نفسه أميراً للمؤمنين، وأثبت ذلك علي السكة وهو ما لم يجرؤ عليه أحد قبله علي كثرة الخارجين علي الخلافة العباسية فإنهم، وإن كانوا قد أغفلوا ذكر أسماء الخلفاء ولم يعترفوا بسلطتهم إلا إنهم لم ينصبوا أنفسهم خلفاء ولم يلقبوا بلقب أمير المؤمنين؛ وعلي ذلك يكون الإمام الهادي إلي الحق هو أول من أسس خلافة ثانية في العالم الإسلامي تنافس الخلافة العباسية، وسبق بذلك الفاطميين الذين أعلنوا قيام خلافتهم بالمغرب عام 297هـ/909م.

كما تلقب الإمام يحيي بلقب ابن رسول الله وهو يحاول بذلك التأكيد علي أحقيته بالخلافة؛ لأنه من أحفاد الرسول صلي الله عليه وسلم، وهذا النسب الطاهر الشريف يجعله أولي من بني العمومة –أي بني العباس– بالخلافة.[23]

2- من التاريخ العمراني في العصر الأيوبي:

أشار العرشاني في صدر كتابه الاختصاص إلى أن القصد والغرض منه هو ذكر تجديد عمارة الجبانة التي هي مصلي العيدين في مقدم مدينة صنعاء في الحديبية منها، وعمارة المنارتين اللتين في المسجد الجامع – أي جامع صنعاء الكبير – وعمارة مسجد معاذ بن جبل صاحب رسول الله صلي الله عليه وسلم... وذكر انه جدد عمارة ذلك واسمه ونسبة وذكر بعض أخباره".

ويؤكد العرشاني ذلك في موضع أخر بقوله "وليس الغرض إلا ذكر تجديد العمارة التي حضرتها ونبهت عليها، وذكر من عمرها بفضل هذه البقاع فخصه الله تعالي وأرشده وهداه وألهمه فعل الخير، وكنت أنا المنبه لذلك والذاكر لفضله وهو المنفق علي ذلك من ماله والفاعل لعمارة ذلك ... ."[24] ويتضح من ذلك النص أن العرشاني كان هو الباعث علي إجراء هذه العمارة التي أنفق عليها الأمير وردسار من ماله الخاص، وبعد ذلك تحدث العرشاني عن تفاصيل هذه العمارة، حيث أشار إلي انه قد ذكر فضل هذه الجبانة للأمير الأجل ملك الأكراد علم الدين وردسار، وفضل المسجد عندها، وفضل المسجد الجامع، فما كان من الأمير

[23] الراشد، دنانير عباسية، ص572–573، الجابر، النقود، ص 323–324، يوسف، نقود الخارجين ص125–126.

[24] العرشاني، الاختصاص، ص471–473.

إلا أن سارع لعمارتها ونشط إلي إحيائها التماساً منه لطلب الثواب من الله تعالي، وفي 2 شوال 602هـ/1205م أمر الأمير بنقض المصلي والإنفاق علي عمارته نقداً فنقض إلي أساسه، ولم يكتف الأمير بالإنفاق فحسب، بل كان يذهب إلي المصلي في كل يوم وأحياناً كان يضرب خيامه هناك ويباشر العمارة بنفسه ويرتبها، ويورد العرشاني بعد ذلك تفاصيل عمارة الجبانة ومفرداتها المختلفة زيادة علي نقوشها الزخرفية والكتابية ويختم حديثة قائلاً "وكان كمال عمارتها في اليوم التاسع من شهر ذي الحجة وهو يوم الاثنين يوم عرفة في أخر اليوم وصلي فيها العيد وهي كاملة مكملة ..."، [25] أي أن عمارتها قد استغرقت نحو سبعة وستين يومًا.

كذلك أمر الأمير وردسار بحفر البئر التي تلي الجبانة وإحداثها وبنيت وأحكم طيها وعمل الدكانين اللتين بين البئر والبركة وبناء الدار التي تلي البئر برسم الساكن فيها لحفظ الضيعة وحفظ الدواب المرصدة للضيعة، ثم أنه أمر بأحياء الضيعة التي حواليها ووقفها علي مصالح الجبانة وعلي من يسكن فيها من الفقراء والمساكين المنقطعين وأوي إليها من أبناء السبيل.[26] ويضيف العرشاني فيذكر "ثم انتدب – أي الأمير وردسار – لعمارة المنارتين التين في المسجد الجامع بصنعاء بتاريخ منتصف شهر اثنين وستمائة، وكانت المنارة الغربية قد انتقضت وتغير أسفلها إلي سقف المسجد ولم يمكن تعليقها، فأمر الأمير بنقضها ليعمرها، والمنارة الشرقية كانت قد نقضت في مدة متقدمة وبني منها الشيء اليسير في مدة طويلة ثماني سنين ... [27]".

وبعد ذلك يصف العرشاني عمارة المئذنة الشرقية، وما استحدث فيها من الدرابزين بأمر الأمير وردسار وهو ما لم يسبق إليه في منارات صنعاء علي حد قول العرشاني، ويشير العرشاني بعد ذلك إلي النقش الإنشائي للمنارة الذي يتضمن اسم الأمير وردسار وتاريخ الفراغ من عمارتها في يوم الثلاثاء الموافق 7 صفر 603هـ/1206م، وقد وضع هذا النقش في شرقي المنارة.

أما المنارة الغربية فقد أشار العرشاني إلي عمارتها ووصفها وتاريخ الفراغ من عمارتها في "يوم الاثنين لست عشرة ليلة خلت من شهر رمضان من شهور سنة ثلاث وستمائة"، ويضيف العرشاني فيذكر "وكتب في حجر من مرمر اسم هذا الأمير وأدخل في بناء الشرقية منها في الحجر من جملة البناء والتأليف."[28]

والحق أن الأدلة المادية المستمدة من النقوش الآثارية وبخاصة النقوش الإنشائية تؤيد ما ذكره العرشاني بل وتتطابق معه، ومنها النقش الإنشائي للمنارة الغربية والذي لايزال باقياً بالجدار الشرقي لقاعدة المئذنة، (شكل رقم9) وقد نفذ هذا النقش علي لوح رخامي مستطيل الشكل وهو يتكون من إحدي وعشرين سطراً بصيغة "بسم الله الرحمن الرحيم/ المسجد الجامع بصنعا أمر ببنائة/ رسول الله صلي الله عليه / قبل مسجد الجند وأعيدت عما/ رة هذه المنارة الغريبة من أسا/سها إلي علوها بأمر الأمير الأجل/ الأعز المختار

[25] العرشاني، الاختصاص، ص504-507.

[26] العرشاني، الاختصاص، ص509-510.

[27] العرشاني، الاختصاص، ص519-520.

[28] العرشاني، الاختصاص، ص520-522.

أمير الأمراء ملك / الأكراد مصطفي أمير المو [منين]/ علم الدين وردسار بن بنامي / الشاكاني أنفق عليها من / ماله في سنة ثلاث وستماية/ بعد أن كملت عمارة الجبانة/ مصلي العيدين في مقدم صنعا/ ومصلي العيدين وضع علي عهد/ النبي صلي الله عليه وأعيدت/ عمارته من أساسه إلي علو/ه واحتفرت البئر التي فيه وعمر/ت هي وضيعتها عمارة أخري/ بأمر الأمير علم الدين ورد/سار انفق عليه من ماله ووقف/ الضيعة والبئر علي مصالح الجبانة"[29] (شكل رقم 10).

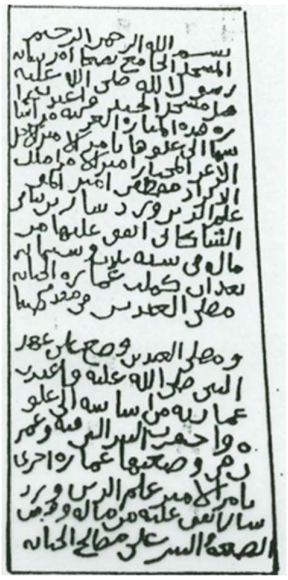

شكل (9): تفريغ لنقش إنشاء مثبت بالجدار الشرقي لقاعدة المنارة (المئذنة) الغربية لجامع صنعاء الكبير مؤرخ بسنة 603هـ/1206م (عن: ربيع خليفه)

شكل (10): الدرهم الرسولي الجديد (الروبجي) ضرب المهجم 736هـ/ 1335م وتفريغ لنقوشه (عن: فيصل الطميحي)

ومنها النقش الإنشائي للمنارة الشرقية والذي لم يتبق منه سوي سبعة أسطر، وقد نفذ هذا النقش أيضا علي لوح رخامي مستطيل الشكل لا يزال باقيا بموضعه بالجدار الشرقي لقاعدة المئذنة أسفل مستوي السقف.

ويتضمن ما تبقي من هذا النقش الصيغة التالية ".. عمارة هذه/ المنارة الأمير الأجل/ الكبير الأعز المختار ملك/ الأكراد مصطفي أمير / [...] ومير(كذا) علم الدين ورد/ سار بن بنامي الشاكاني/ انفق عليها من ماله لو [...]..."[30]

وبعد فإن مطابقة ما ورد في كل من هذين النقشين وبصفة خاصة نقش المنارة الغربية، مع ما أورده العرشاني – بوصفه الباعث لهذه العمارة أولاً وشاهد عيان ومؤرخ ثانياً – يكفي لإثبات تلك العلاقة الوثيقة القائمة بين التاريخ والآثار وأنه لا غني لإحداهما عن الآخر إذا ما أردنا أن نقدم صورة نقية أقرب ما تكون إلي الحق والواقع.

[29] خليفة، النصوص التأسيسية، 265–266، شكل 12، ومما له دلالته في هذا لاصدد أن الحجري ومن نقل عنه قام بنشر هذا النقش ولكنه أغفل بعض نصوصه، الحجري، مساجد صنعاء عامرها وموفيها، 27–28، الأكوع، جامع صنعاء، 14، لوحة4.
Serjeant, SANA'A, An Arabian Islamic city, 348-349.

[30] خليفة، النصوص التأسيسة، ص 265؛ Serjeat, SAN'A, p. 343, pl. 18. 51, p.348.

3- من التاريخ الاقتصادي في عصر بني رسول: (626-858هـ/ 1228-1454م):

أشارت المصادر التاريخية إلي أنه في عام 736هـ/1335م ظهر الدرهم الجديد[31] الذي أمر بضربه السلطان الرسولي الملك المجاهد علي بن المؤيد داود (712-764هـ/1321هـ/1321-1362م)، وقد اصدر أوامره بفرض التعامل به، وان لا يؤخذ من الرعية والتجار في جميع أموال الخراج إلا بهذا الدرهم الجديد، فما كان من الرعية إلا أن تضررت من جراء ذلك. وكانت العادة قد جرت – قبل عهد السلطان الملك المجاهد – أن يطلب من الرعية ما يتوجب عليهم من الخراج في الغلة علي حكم سعر الصرف في شهر ذي الحجة من العام السابق، وبناءً عليه فقد كان تحصيل خراج عام 736هـ/1335م علي سعر صرف شهر ذي الحجة للعام السابق وكان السعر في هذا العام الأخير – وهو 735هـ/1334م – مرتفعاً ارتفاعاً عظيماً، وفي المقابل حدث العكس في العام الجديد – وهو 736هـ/1335م- حيث انحطت الاسعار انحطاطاً كلياً مع ظهور الدرهم الجديد، وهو الأمر الذي تسبب عنه حدوث ضرر عظيم بالرعية، فقد انكشفت أحوالهم وهربت طائفة منهم، كما تركت الرعية في وادي زبيد الحرث وتفرقوا في أنحاء البلاد ولم يعمر منهم إلا قليل عجزوا عن الحرث لقلتهم.[32]

وكان من جراء ذلك أن أمر السلطان الملك المجاهد بتغيير طريقة تحصيل الخراج المشار اليها، وقد تمثلت الطريقة الجديدة في نظام النواصف الذي يقتضي أن يقسم كل شهر من شهور السنة إلي نصفين متساويين ويؤخذ من كل نصف شهر أدني سعر علي الإطلاق، وهو الأمر الذي جعل جباية الخراج أكثر يسراً وسهولة عن ذي قبل، وبطبيعة الحال أكثر ملائمة لحال الرعية، وقد عد ذلك الأمر –أي إجراء النواصف

---

[31] اختلف المؤرخون حول اسم هذا الدرهم الجديد فقيل أنه الرواصي، الراصي، الرواحي، الراحي، الرياحي، الرواضي، الروباصي، الرياضي؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، جـ2، تحقيق محمد بسيوني عسل، مصر، مطبعة الهلال بالفجالة، (1332هـ/1914م)، ص65 حاشية 1؛ تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، بيروت، دار الآداب، ط2،(1403هـ/1983م)، ص61 حاشية1، العسجد المسبوك فيمن تولي اليمن من الملوك، صورة مخطوط، صنعاء، وزارة الاعلام اليمنية، (1981م)، ص376؛ ابن المقرئ، إسماعيل بن ابي بكر، ت837هـ/1433م عنوان الشرف الوافي في علم الفقة والعروض والتاريخ والنحو والقوافي، تحقيق عبد الله الانصاري ، مكتبة جدة، ط5،(1986م)، ص169، ابن الحسين، غاية الأماني، جـ2، ص513، ابن الديبع، بغية المستفيد، ص92؛ ومن الواضح ان هناك تصحيف قد حدث، ولذلك اقترح خليفة أن الأسم الصحيح للدرهم هو الرباعي، ولكن دون ان يقدم ما يؤيد تلك التسمية، مما دفع الطميحي إلي القول "ولعل الذي دفع الباحث – أي الخليفة- إلي اعتقاد صحة لفظ او رسم الرباعي ان هناك نقودا سادت لمدة يسيرة من الزمن من التاريخ الإسلامي كانت تسمي الرباعيات وعليها بني قياسه، ولعل لتشابه الأسماء القائم دور في ذلك". خليفة، طراز المسكوكات الرسولية، الاكليل، العدد2، السنة 17، صنعاء، وزارة الاعلام والثقافة،= =(صيف1409هـ/1989م)، ص49، حاشية36، الطميحي، فيصل علي، الدرهم الرسولي الجديد المضروب سنة 736هـ، عالم المخطوطات والنوادر، المجلد الاول، العدد 2، الرياض، عالم الكتب، (رجب، ذو الحجة 1417هـ/يناير – يونيو 1997م)، ص499-500؛ أما الطميحي فيري أن الاسم الصحيح هو الروبجي اعتماداً علي ما وجده في معاجم اللغة العربية – مثل لسان العرب والقاموس المحيط وتاج العروس- من وجود نوع من الدراهم بذلك الاسم – أي الروبجي أو الربجي – وانها كانت تمتاز بخفة الوزن وهو ما يتوافق مع صفات الدرهم الرسولي الجديد دون غيره من الدراهم الرسولية الأخري، زيادة علي تشابة رسم الاسماء الملاحظ بشدة بين اسم الدرهم الروبجي وبين الأسماء الواردة في المصادر التاريخية علي الرغم من التصحيف، الطميحي، الدرهم الرسولي الجديد، ص500-501.

[32] الخزرجي، العقود اللؤلؤية، جـ2، تحقيق محمد بسيوني، ص65-66، تحقيق الأكوع، ص61-62، العسجد المسبوك، ص376، ابن المقرئ، الشرف الوافي، ص169، ابن الحسين، غاية الأماني، جـ2، ص513، ابن الديبع، بغية المستفيد، ص92.

في جهات التهائم كلها– من حسنات ومآثر الملك المجاهد التي تحسب له والتي لم يسبقه اليها أحد.[33] وقد ترتب علي حدوث ذلك الإصلاح استقرار الأوضاع عامة، بدليل أن المصادر التاريخية لم تذكر شيئا عن الدرهم الجديد مما يدل علي انه استقر علي وضع رضي به الجميع، كرد فعل مباشر لذلك الإصلاح،[34] وهو ما لم يحدث حال ظهور هذا الدرهم عام 736هـ/1335م كما سبق القول.

والحق أن الأدلة المادية الباقية تؤيد حقيقة ما أوردته المصادر التاريخية إذ يوجد – حتى الآن – درهمان من هذا النوع الجديد الذي أشارت إليه المصادر أحدهما ضرب في مدينة المهجم[35] (شكل 10، لوحة 2) والآخر ضرب بمدينة زبيد[36] وذلك في عام 736هـ/1335م، أي: في نفس العام الذي أشارت المصادر التاريخية إلي ظهور الدرهم الجديد فيه.. وتتضمن نقوش هذين الدرهمين في الوجه البسملة كاملة وشهادة التوحيد والرسالة المحمدية وأسماء الخلفاء الراشدين الأربعة رضي الله عنهم، وفي الظهر اسم الملك المجاهد وألقابه واسم الخليفة العباسي المستعصم بالله وألقابه ومكان الضرب، سواء المهجم او زبيد، وتاريخ الضرب وهو 736هـ/1335م زيادة علي نقش زخرفي في مركز الظهر عبارة عن سبع في درهم المهجم وطائر متوج ينشر جناحية في درهم زبيد.

ثانيًا: مصر

1–من التاريخ الاقتصادي في العصر الأموي: 41–132هـ/661–749م

أشارت المصادر التاريخية إلي بعض الإجراءات الإحصائية والتفتيشية التي اتبعت في مصر الإسلامية إبان العصر الأموي لضبط عملية تحصيل الجزية من أهل الذمة، نظرًا لما لوحظ من ازدياد حركات التهرب إلى القرى والأديرة، على الرغم من أن قيمة الجزية كانت تختلف من شخص إلى آخر ومن كورة إلي أخرى كما ثبت من أوراق البردي العربية، ومن هذه الإجراءات ما أمر به الأمير عبد العزيز بن مروان من إحصاء الرهبان في جميع الأديرة، حتى لا تكون مكانا لإيواء الهاربين من دفعها، ودفع جزية مقدارها دينار واحد مع تطويق الذراع الأيسر بسوار معدني ينقش عليه تاريخ الإحصاء واسم الراهب واسم الدير الذي ينتمي إليه أو الكنيسة التي هو فيها.

ومنها ما فعله الأمير قرة بن شريك من حصر الأغراب في كل قرية ووسم كل منهم على جبهته ويديه وردهم إلى أوطانهم، ومنها ما فعله أسامة بن زيد التنوخي متولي الخراج من "وسم الرهبان بحلقة حديد فيها اسم الراهب واسم ديره وتاريخه..." ومنها ما فعله حنظله بن صفوان من أنه جعل "على كل نصراني وسما صورة أسد."[37] ومن هذه الإجراءات أيضا أن يختم في رقاب أهل الذمة بالرصاص، وهذا الإجراء

---

[33] الخزرجي، العقود اللؤلؤية، جـ2، 66–67، تحقيق الأكوع، 62–63، العسجد المسبوك، 376، ابن المقرئ، الشرف الوافي، 169، ابن الحسين، غاية الأماني، جـ2، 513، ابن الديبع، بغية المستفيد، 92.

[34] الطميحي، الدرهم الرسولي الجديد، ص 502–503.

[35] الطحيمي، الدرهم الرسولي الجديد، ص504، لوحة 1، شكل1.

[36] خليفة، طراز المسكوكات الرسولية، ص49، لوحتا 19–20.

[37] ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص151، المقريزي، الخطط، جـ1، ص25، 76، جـ2، ص92–493، السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جـ1، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، (1968م)، ص 145، كاشف، مصر الإسلامية، ص62–64؛ فهمي، موسوعة، ص70–72.

الأخير تعود جذوره إلى خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وتشير المصادر إلى تطبيقه في كل من العراق ومصر، ومن ذلك ما أشار إليه البلاذري بقوله "وبعث عمر رضي الله عنه حذيفة، أي: حذيفه بن اليمان، وابن حنيف، أي: عثمان بن حنيف إلي خانقين ضمن أرض السواد بالعراق.. وكانت من أول ما افتتحوا فختما أعناق أهل الذمة ثم قبضا الخراج". وفي موضوع آخر يذكر "ختم عثمان بن حنيف في رقاب خمس مائة ألف وخمسين ألف علج وبلغ الخراج في ولايته مائة ألف ألف درهم."[38] أما بالنسبة إلى مثل هذا الإجراء في مصر فيشير ابن عبد الحكم ومن نقل عنه من المؤرخين المتأخرين إلي ذلك بقوله "وكتب عمر إلى عمرو بن العاص أن تختم في رقاب أهل الذمة بالرصاص ويظهروا مناطقهم ويجزوا نواصيهم ويركبوا على الأكف – البراذع – عرضا ولا يضربوا الجزية إلا على من جرت عليه الموسي ... ."[39] وإذا كانت الأدلة المادية الباقية، حتى الآن، تعوزنا لكي نؤكد على مدي تطبيق الإجراءات المشار إليها سابقًا من عدمه، باستثناء الإجراء الأخير، فان الأدلة المادية الباقية والمستمدة من النقوش الآثارية تؤكد استمرار تطبيق هذا الإجراء إبان العصر الأموي ولا سيما في خلافة الوليد بن عبد الملك (86–96هـ/705–714م) وعلى يدي واليه على مصر قرة بن شريك (90–96هـ/708–714م)، ودليل ذلك العثور على ثلاثة أختام مؤرخة على التوالي: 90هـ/708م، 94هـ/712م، 95هـ/713م.

والختم الأول محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة، وهو ختم مسكوك من الرصاص على شكل دائري نقشت به كتابات بارزة من الوجهين نتجت عن طريق الضرب بقالب من حديد فوق وجهي الرصاص، ويلاحظ كذلك أن هذه القطعة مثقوبة من طرفيها بثقب نافذ لإدخال سلك خاص خلال هذا الثقب حتى يسهل تطويق الرقبة أو الذراع، ونقوش هذا الختم تتضمن على أحد وجهيه في سطرين متوازيين عبارة "[جز]ية سنة/ تسعين"، وعلى الوجه الآخر في سطرين متوازيين أيضا عبارة مصر/ أبيو [هـ].[40] (شكل رقم 11)

شكل (11): تفريغ لنقش ختم مسكوك من الرصاص (محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة) مؤرخ بسنة 90هـ/708م.

شكل (12): تفريغ لنقش ختم مسكوك من النحاس (محفوظ بالمتحف البريطاني بلندن) مؤرخ بسنة 94هـ/713م.

(عن: عبد الرحمن فهمي)

وتتضمن نقوش الختم الثاني، وهو من النحاس ومحفوظ في المتحف البريطاني بلندن – علي أحد وجهيه ثلاثة أسطر متوازية عبارة "سنة أ/ربع و/تسعين" وعلي الوجه الآخر في سطرين متوازيين عبارة "من أهل / مصر" (شكل رقم 12).

---

[38] البلاذري، فتوح البلدان، ق3، ص380،378.

[39] ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص151، المقريزي، الخطط، جـ1، ص76، السيوطي، حسن المحاضرة، جـ1، ص145.

[40] فهمي، موسوعة، 72–73، ختم أموي مسكوك من الرصاص، ضمن بحث دراسة لبعض التحف الإسلامية المشار إليها سابقاً، 171–179.

وما يزال يوجد بهذا الختم بقايا سلك كان يمر من ثقب نافذ من طرفيه أما الختم الثالث والأخير فهو من النحاس ومحفوظ في المتحف البريطاني أيضًا ونقوشه هي نفس نقوش الختم السابق ولكنه مؤرخ بعام 95هـ/713م[41] وتدل نقوش هذه الأختام الثلاثة على أنها قد صنعت بغرض تحصيل الجزية؛ ولذلك كان ينقش عليها تاريخ السنة الهجرية التي تدفع فيها الجزية لتكون بمثابة دليل أو مستند علي أن هذا الشخص أو ذاك قام بدفع تلك الجزية سواء كان من أهل مصر بصفة عامة أو من أهل قرية بعينها بصفة خاصة. ومهما يكن من أمر، فانه من الواضح أن الغرض من وراء هذه الإجراءات الرغبة في تنظيم موارد الدولة والحفاظ علي ميزانيتها. وهناك ما يشير إلى أن هذه الأختام كانت تكسر بعد أداء الجزية ومن ذلك ما ذكره أبو يوسف بقوله "ينبغي أن تختم رقابهم، أي: أهل الذمة في وقت جباية جزية رؤوسهم حتى يفرغ عرضهم، ثم تكسر الخواتيم كما فعل عثمان بن حنيف حينما سألوه كسرها.[42]

وهكذا لا تبدو عملية الختم حول الأيدي أو الرقاب أكثر من إجراء تنظيمي ووسيلة مؤقتة تحقق مصلحة الجماعة ومصلحة الفرد نفسه فلا يحدث خطأ من شأنه أن يؤدي إلي تكرار دفع الجزية من شخص واحد أكثر من مرة فيقع الغبن الصارخ، كما لا يمكن لفرد في ظل نظام الختم أن يفلت من التزامه بدفع الجزية.[43]

أما عن عادة ختم الرقاب بالأختام فهي ليست من ابتكار العرب بل عرفت قبل العصر الإسلامي بقرون عديدة[44] هذا من جهة كما أنها من جهة ثانية لم تكن قاصرة على أهل الذمة وبغرض دفع الجزية فحسب حيث أشارت المصادر التاريخية إلي أنها اتبعت مع بعض المسلمين لأغراض سياسية إبان العصر الأموي نفسه.[45]

2- من التاريخ السياسي

أ- العصر العباسي الأول 132-232هـ/749-846م

من المعروف أن فترة خلافة محمد الأمين (193-198هـ/808-813م) كانت في الواقع فترة نزاع سادت فيها الفوضي وعم الاضطراب جميع أنحاء الدولة العباسية، ولم تنته تلك الفوضى بخلافة المأمون عام 198هـ/813م، بل ظلت آثارها عدة سنين حدثت في أثنائها ثورات من جانب العلويين وأخرى من جانب الأمويين.[46] غير أن ما يعنينا في هذا المقام هو أن نتحدث عن مصر في تلك الفترة فقد امتدت إليها الفوضى كذلك، وقد أوردت المصادر إشارات كثيرة حول هذه الفترة فقد تحزب فريق للأمين وتحزب فريق آخر للمأمون، ولم يقف الأمر عند ذلك الحد بل تطورت الأحداث في عهد المأمون نفسه إلى نزاع بين الولاة والقادة للاستئثار بالسلطة كاملة والاستقلال بشئون ولاية مصر عن الخلافة حتى عمل كل منهم على ضرب السكة باسمه

[41] فهمي، موسوعة، ص68-69؛ Walker, A Catalogue of the Arab – Byzantine, 295 .

[42] أبو يوسف، كتاب الخراج، 89، 91، 263.

[43] فهمي، موسوعة، ص 76.

[44] فهمي، موسوعة، ص 74-75 (وما ورد بها من مراجع حول هذا الموضوع).

[45] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ1، ص246.

[46] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، جـ8، ص 374-498، 527-556.

بمجرد قضائه على منافسه، وكأن المسألة لم تعد تتصل بالحكومة المركزية في بغداد، وإنما أصبحت مصر وسط هذه الفوضى غنيمة لمن غلب، ومن هؤلاء القادة والولاة في تلك الفترة عباد بن محمد البلخي وجابر بن الاشعث والمطلب بن عبد الله الخزاعي والعباس بن موسى بن عيسى الذي أرسل ابنه عبد الله نائباً عنه في مصر والسري بن الحكم وعبد العزيز بن الوزير الجروي، وليس أدل علي مظاهر الاضطراب في تلك الفترة من بعض ما أورده المؤرخون من أن أعمال الشرطة في مصر قد وليها خمسة رجال على التوالي في بضعة أسابيع، وكذلك قام بعض الثوار بجباية الضرائب لأنفسهم.[47]

والحق أن الأدلة المادية المستمدة من النقوش الآثارية وبخاصة نقوش السكة تثبت وتؤكد حقيقة تلك الأحداث المضطربة التي شهدتها مصر في تسعينات القرن 2هـ/8م، إذ توجد نماذج من الدنانير الذهبية، ومنها دنانير عباد بن محمد البلخي (196–198هـ/ 811–813م) وقد ضرب نقوداً باسم المأمون في عام 196هـ/ 811م، وعام 197هـ/ 812م مع أن الخليفة الشرعي وقتذاك كان الأمين (شكل رقم 13)، ودنانير المطلب بن عبد الله الخزاعي تتضمن نقوشها في فترة ولايته الأولى عام 198هـ/ 813م اسم الخليفة المأمون، أما فترة ولايته الثانية والتي تمت بمبايعة الجند (199–200هـ/814–815م) فلا تتضمن نقوشها اسم المأمون، وإنما اسم الفضل بن سهل الذي ظهر على دنانير المطلب بلقبه "ذو الرياستين" سنة 199هـ/814م وهي السنة التي ذكرت فيها مصر لأول مرة على يد المطلب كإقليم له الحق في الاستقلال بهذا النوع من السكة وهو الدنانير الذهبية.[48] (شكلا 14–15، لوحة3)

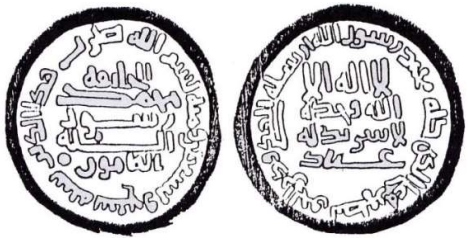

شكل (13): تفريغ لنقش سكة ذهبية (دينار) (محفوظة في متحف قطر الوطني) ضرب 197هـ/ 812م باسم عباد بن محمد اللبخي والخليفة المأمون (عن: فرج الله يوسف).

شكل (14): تفريغ لنقش سكة ذهبية (متحف قطر الوطني) ضرب مصر سنة 199هـ/ 814م باسم الفضل بن سهل (من دنانير المطلب بن عبد الله الخزاعي) (عن : فرج الله يوسف)

شكل (15): تفريغ لنقش سكة فضية (درهم)(محفوظة في متحف قطر الوطني) ضرب سنة 199هـ/ 814م باسم المطلب بن عبد الله الخزاعي والفضل بن سهل ذو الرياستين بن سهل (عن : فرج الله يوسف)

لوحة (3): نقش سكة ذهبية (دينار) ضرب مصر سنة 199هـ/814م باسم المطلب بن عبد الله الخزاعي والفضل بن سهل ذو الرياستين (عن: مؤسسة النقد العربي السعودي، متحف العملات)

[47] الكندي، الولاة والقضاة، 147–161؛ ابن تغري بردي، النجوم، جـ2، 188–212 ؛ كاشف، مصر الإسلامية، 88–89 ؛ فهمي، موسوعة، 90–93،91.

[48] فهمي، موسوعة، ص 91–93، العش، النقود العربية الإسلامية المحفوظة، جـ1، ص 237–239، يوسف، نقود الخارجين، ص74–86.

كذلك السري بن الحكم الذي استطاع أن يكون لنفسه ولأسرته أول دولة مستقلة عن الخلافة العباسية في مصر الإسلامية رغم قصر فترة حكمها، وهو ما سوف نشير إليه تفصيلاً في دراسة لاحقة بمشيئة الله تعالي.[49]

ب- العصر الفاطمي

من المعروف أن قيام الخلافة الفاطمية بالمغرب منذ عام 297هـ/909م كان سببًا في انقسام الحركة الإسماعيلية في زمن مبكر، فقد بنيت تلك الحركة ضد العقيدة السنية والتطلعات العباسية السياسية ونمت على فكرة تدميرها، وكونت لذلك التنظيم السياسي الديني المعروف بالدعوة، ومن ثم انتشر دعاة الفاطميين في طول الأراضي العباسية وعرضها يقومون بنشاط سياسي وأيديولوجي ليتمكنوا من القضاء على الخلافة العباسية.[50]

وتدل الأحداث علي أن الفاطميين منذ أن تأسست خلافتهم في المغرب لم يشاءوا أن يستقروا بها، وإنما أرادوا أن يتخذوها قاعدة يعدون فيها العدة للانطلاق نحو الشرق، ودليل ذلك ما أشارت إليه المصادر التاريخية بخصوص تلك المحاولات المتكررة لفتح مصر منذ السنوات الأولي لحكم الخليفة عبيد الله المهدي (297-322هـ/909-933م) وفي عهد ابنه وخليفته القائم بالله (322-334هـ/ 933-945م) ومنها ما حدث في الأعوام التالية: 301هـ/ 913م، 307هـ/919م، 324هـ/935م، إلا أن هذه المحاولات قد باءت بالفشل.[51]

وتوقفت هذه المحاولات في خلافة المنصور بالله إسماعيل (334-341هـ/ 945-952م) لانشغاله بالقضاء على ثورات البربر المتتالية والحركات الخارجية ومن أخطرها ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد المعروف بصاحب الحمار التي قضي عليها في عام 336هـ/947م كما سنشير إليها فيما بعد.

وتشير المصادر إلى أن الخليفة المعز لدين الله (341-365هـ/ 952-975م) قد وضع مشروع الانتقال إلى الشرق وفتح مصر موضع التنفيذ، ومن ثم أخذ يستعد لذلك الأمر بدرجة كبيرة لم يسبق لها مثيل، وقيل: إن بلاط المعز في صبره المنصورية لم يخل من الدعاة والرسل الذين توافدوا عليه يحثونه على تحقيق هدف الدعوة وأن يعجل بغزو الشرق، فكان، أي: المعز يجيبهم بأن الوقت لم يحن بعد ويذكرهم بالمحاولات السابقة التي باءت بالفشل، ويؤكد لهم يقينه في أن الله سيورث الأئمة الأرض كلها، وقيل: إن المعز رأي رؤيا فحواها أنه رأى والده المنصور إسماعيل يتنبأ له بقرب فتح مصر، وأخبر المعز مشايخ كتامة بأنه لا يشك في فتح المشرق قريبًا وانهم، أي: الكتامين طردوا قديمًا من المشرق وسيعودون إليه بفضل

---

[49] النقوش الكتابية الإسلامية وقيمتها التاريخية (المبحث الثاني)، سلسلة دراسات آثارية، العدد 3، (قيد النشر).

[50] سيد، الدولة الفاطمية في مصر، تفسير جديد، 60-61.

[51] ابن الاثير، الكامل، مج8، 84، 89، 113، المقريزي، الخطط، جـ1، 174، 327-329، 351، اتعاظ الحنفا، جـ1، ص68-69، 71-72، 74، ابن عذاري، البيان المغرب، جـ1، ص 170-172، 181-182؛ القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار (الجزء الخامس)، 31-79؛ ابراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية، 85؛ الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب، 208-220 ؛ البيلي، استيلاء الفاطميين علي مصر، 100-107.

الأئمة، وقال في آخر كلامه لهم "واعلموا أنكم إذا لزمتم ما أمركم به، رجوت أن يقرب الله علينا أمر المشرق كما قرب أمر المغرب بكم انهضوا رحمكم الله ونصركم."[52]

وكان لسياسة اللين والمفاوضات ثم الدعاية بأوجهها المختلفة ومنها النقود أثر كبير وبارز في نجاح المشروع الفاطمي وذلك بواسطة الدعاة، ومن ذلك ما ذكر أن المعز قد بذل مائة ألف دينار لابن جراح الطائي إن هو خالف الحسن أبن أحمد القرمطي، وأن المصريين استكثروا هذا المال، فضربوا أكثره دنانير من صفر والبسوها الذهب وجعلوها في اسفل الأكياس وجعلوا الذهب الخالص علي رؤوسها.[53]

وقيل أيضًا إن أمور الديار المصرية قد اضطربت في اواخر عصر الإخشيديين بسبب المغاربة أعوان الخلفاء الفاطميين الواردين إليها من المغرب وقد استمال هؤلاء الدعاة نفراً من القواد ووجوه الرعية وأنفذ إليهم المعز بنوداً ففرقوها فيمن استجاب لهم وأمرهم أن ينشروها إذا قاربت عساكره مصر.[54]

والحق أن الأدلة المادية المستمدة من النقوش الآثارية تؤيد حقيقة ما رددته المصادر التاريخية، وتثبت أن الخليفة الفاطمي المعز لدين الله قد وضع مشروع الانتقال للشرق وفتح مصر موضع التنفيذ منذ اعتلائه عرش الخلافة الفاطمية في عام 341هـ/ 952م، ومن هذه النقوش ثلاثة دنانير تتضمن اسم الخليفة المعز والقابه بصيغة "دعا الإمام لتوحيد الاله الصمد/ المعز لدين الله أمير المؤمنين" والعبارات الشيعية بصيغة "وعلى أفضل الوصيين ووزير خير المرسلين" وشهادة التوحيد والرسالة المحمدية، فضلاً عن تاريخ ومكان الضرب وهو مصر وذلك في السنوات التالية: 341هـ/952م، (شكل رقم 16) 343هـ/954م، 353هـ/964م، أي قبل الفتح الفاطمي لمصر في عام 358هـ/968م بوقت طويل كما يتضح من تاريخ ضرب كل من الدينارين الأول والثاني وهو 17 سنة بالنسبة للدينار الأول و15 سنة بالنسبة للدينار الثاني.

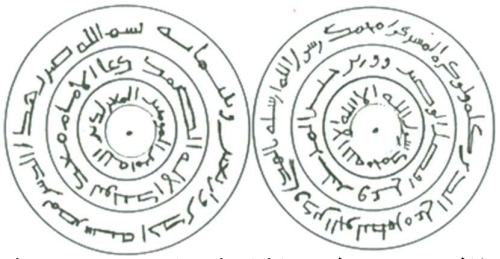

شكل (16): تفريغ لنقش سكة ذهبية (دينار) ضرب مصر سنة 341هـ/ 952م باسم الخليفة الفاطمي المعز لدين الله وألقابه والعبارات الشيعية (عن: محمد باقر الحسيني)

شكل (17): تفريغ لنقش درهم (مجموعة د.هنري أمين عوض بالقاهرة) ضرب دمشق سنة 641هـ/1243م باسم الملك الصالح نجم الدين أيوب والملك الصالح إسماعيل (عن: رأفت النبراوي)

ومن الواضح أن الغرض من هذه الدنانير هو الحرب النفسية والدعاية للفاطميين،[55] كما أنها توحي من ناحية أخري بتغير السياسة الفاطمية منذ اعتلاء المعز الخلافة عام 341هـ/ 952م، فحتى لا يتعرض المشروع الفاطمي للفشل والانتكاسة كما حدث قبل عهد المعز، كان لابد من إعداد خطة مسبقة مدروسة

[52] القاضي النعمان، المجالس والمسيرات، 475–476، 508–509؛ المقريزي، الخطط؛ جـ1، 352؛ سيد، الدولة الفاطمية، 61–62؛ ابراهيم، مصر في العصور الوسطي، 114.

[53] ابن اثير، الكامل، مج8، ص638–639، الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، جـ6، ص159.

[54] المقريزي، القفي الكبير (تراجم مغربية ومشرقية من الفترة العبيدية)، 332، ابن تغري بردي، النجوم، جـ3، 326.

[55] فهمي، موسوعة، 200، العش، مصر القاهرة على النقود، 7–8، الحسيني، دراسة تحليلية اسلامية عن نقود الدعاية، 9–11، بن قربة، المسكوكات المغربية، 350 حاشية 3، شكل 5، داود، المسكوكات الفاطمية، 46؛ سيد، الدولة الفاطمية، 62، البيلي، استيلاء، 108، منصور، النقود الإسلامية، 270.

وتنفيذها بدقة، وهو ما حدث بالفعل على يدي الخليفة المعز لدين الله، وقد اعتمدت هذه الخطة بدرجة كبيرة علي الدعاة الفاطميين الذين انتشروا في مصر لدراسة أحوالها الداخلية ومراقبتها عن كثب ونشر الدعوة وتهيئة الأجواء واستمالة العامة والخاصة علي السواء، زيادة على العيون والجواسيس الذين كانوا يكتبون إلي المعز بأخبار مصر وقيل: أنه كان يرد عليهم بنفسه، ولم يقتصر الأمر علي ذلك بل تسلل بعض الجواسيس إلى داخل القصر الإخشيدي نفسه بالتالي استطاعوا أن يمدوا المعز بأدق المعلومات والتفاصيل وهو ما يستدل من بعض المصادر التاريخية المشار إليها وبصفة خاصة الخطط واتعاظ الحنفا للمقريزي.

وبالتالي كان لابد من بذل الأموال على الافراد الذين يتوسم فيهم الاستجابة للدعوة، وقد استغرق تنفيذ هذه الخطة نحو سبعة عشر عامًا كما يستدل من تاريخ أقدم الدنانير الثلاثة المشار اليها، زيادة علي بعض النقوش الآثارية الأخرى، ومنها نقش طراز يتضمن اسم الخليفة المعز لدين الله ومكان نسجه وتاريخ النسج وهو مصر عام 345هـ/956م وهو محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة (رقم السجل 13165)، ونقش آخر محفوظ بذات المتحف (مجموعة تونة) وهو مؤرخ بعام 355هـ/965م، ويتضمن الصيغة التالية "بسم الله الرحمن الرحيم نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد أبي تميم الامام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه سنة خمس وخمسين وثلثمئ[ه] ... ."[56]

ومهما يكن من أمر فإن ضعف الخلافة العباسية من جهة وتردي الأوضاع عقب وفاة الحجر الأسود، أي: كافور الاخشيدي 357هـ/967م كان له أثره الكبير في نجاح الفتح الفاطمي لمصر عام 358هـ/967م.

جـ – العصر الأيوبي

أشارت المصادر التاريخية إلى أنه في عام 641هـ/1243م تمت مصالحة بين الملك الصالح نجم الدين أيوب سلطان مصر وعمه الملك الصالح إسماعيل صاحب دمشق، واتفقا الطرفان على أن تكون دمشق وأعمالها للصالح اسماعيل ومصر للصالح نجم الدين أيوب، وأن يبقى كل من صاحب حمص وحماه وحلب على ما هو عليه، وأن تقام الخطبة والسكة للصالح نجم الدين أيوب في كل من دمشق وحلب وحمص وأن يفرج الصالح اسماعيل عن المغيث بن الصالح نجم الدين أيوب الذي كان مسجونا لديه، ونص الاتفاق كذلك علي مهاجمة الملك الناصر داود صاحب الكرك وانتزاع أملاكه منه واقتسامها وغير ذلك.[57] والحق أن الأدلة المادية المستمدة من النقوش الآثارية وبخاصة نقوش السكة تثبت وتؤيد هذا الاتفاق وتلك المصالحة؛ إذ توجد بعض الدراهم الأيوبية التي ضربت بمدينة دمشق عام 641هـ/1243م وهو العام الذي تمت فيه المصالحة كما سبق القول (شكل رقم 17).

وتتضمن نقوش هذه الدراهم في الوجه اسم الملك الصالح نجم الدين أيوب بن محمد ومكان وتاريخ الضرب وهو دمشق 641هـ/1243م وفي الظهر اسم الخليفة العباسي المعاصر –وهو الامام المستعصم بالله أمير المؤمنين–، واسم الملك الصالح اسماعيل وهو ما يتفق مع ما ورد ضمن شروط الاتفاق والمصالحة من أن تكون الخطبة والسكة في دمشق وأعمالها للصالح نجم الدين أيوب وألقابه في ثلاثة أسطر متوازية

[56] Combe, Repertoire, Tome, 5, p. 11, No 1622.

[57] ابن واصل، مفرج الكروب في اخبار بني أيوب، جـ5، 327–330؛ المقريزي، السلوك، جـ1، 417 ؛ ابنتغري بردي ، النجوم جـ6، 307 ؛ غوانمة، امارة الكرك الايوبية، 265 ؛ النبراوي، درهم أيوبي يسجل مصالحة ملكية ، 155 –156.

بمركز الوجه، بينما ورد اسم الصالح اسماعيل هو الحاكم الفعلي لدمشق.[58] هذا ولم يقدر للاتفاق المذكور أن يطول، إذ سرعان ما نقضه الصالح إسماعيل في نفس السنة، ومن ثم أعاد المغيث ابن الصالح نجم الدين إلى السجن بعد أن زين له وزيره السامري سوء فعله قائلا له "هذا خاتم سليمان لا تخرجه من يدك"، كما أرسل يستدعي قواته من عجلون، فضلا عن تحالفه مع الناصر داود صاحب الكرك ومع الفرنج.[59]

وتؤكد نقوش السكة كذلك نقض ذلك الاتفاق، إذ توجد عدة دراهم لا تتضمن نقوشها اسم الملك الصالح نجم الدين أيوب، وإنما تقتصر فقط على اسم الصالح إسماعيل وألقابه بمركز الوجه واسم الخليفة العباسي المستعصم بالله وألقابه بمركز الظهر، زيادة علي مكان وتاريخ الضرب وهو دمشق 642-643هـ/1244-1245م بل وقلد "الصليبيون" دراهم هذه الفترة.[60]

3- من التاريخ العسكري في العصر المملوكي الجركسي

من المعروف أن العلاقات المملوكية العثمانية -قبل أن يتم الفتح العثماني لمصر عام 923هـ/1517م- قد اتخذت أطوارًا عديدة بين مد وجزر فتارة يسودها الوئام والود، ومن ثم تتبادل الهدايا في عديد من المناسبات ومنها التهنئة بالجلوس على العرش أو التهنئة بإحراز الانتصارات العسكرية أو عقب معاهدة للصلح بين الطرفين، وفي بعض الأحيان للتمويه علي التحركات العسكرية،[61] وتارة أخرى تتوتر العلاقات بشدة لتعارض المصالح المشتركة بين الطرفين، وهو ما يترتب عليه الصدام العسكري المباشر مثلما حدث في عهد السلطان المملوكي الأشرف قايتباي (872-901هـ/1467-1496م). وتشير المصادر التاريخية إلى أن أواصر المودة وعلاقات الود كانت سائدة في أوائل عهد السلطان قايتباي، غير أنها سرعان ما بدأت تسوء وتتوتر بشدة عقب تولية السلطان العثماني بايزيد الثاني العرش بعد وفاة والده السلطان محمد الفاتح في عام 886هـ/1481م، وكان سبب ذلك هو النزاع بين بايزيد وأخيه جم، والتجاء هذا الأخير إلى السلطان قايتباي الذي أكرم وفادته وجهزه للسفر لأداء فريضة الحج مع أسرته، مما أثار غضب السلطان بايزيد، ومن ثم أخذ يتحين الفرص لتصفية حسابه مع السلطنة المملوكية، وقد تجمعت لديه بعض الأسباب مما جعل الحرب تطل برأسها بين الدولتين، وعلي الرغم مما بذل من محاولات للصلح ولا سيما من قبل السلطان قايتباي والخليفة العباسي.

وهكذا لم يكن أمام السلطان قايتباي من خيار سوى الحرب، ولذلك أخذ يستعد للأمر ويجيش الجيوش فأرسل ثلاث تجاريد أو حملات متتابعة تحت قيادة الأمير الكبير الأتابكي أزبك فيما بين عامي 890-895هـ/ 1485-1489م وتحقق فيها جميعًا النصر للجيش المملوكي.[62]

---

[58] النبراوي ،درهم أيوبي ،ص150-157،لوحتا 1-2،شكلا1-2

[59] ابن واصل ،مفرج الكروب ن جـ5 ص331-333 ؛ المقريزي السلوك، جـ1 ص417-418؛ ابن تغري بردي، النجوم، جـ6، ص307. غوانمه، امارة الكرك، ص266-267.

[60] النبراوي، درهم ايوبي، 154-155، 156، حاشية 14، الطراونة، المسكوكات الايوبية، 221، لوحة 104.
- Balog, The coinage of the Ayyubids, 242-245.

[61] خليفة، تاثيرات مملوكية عثمانية متبادلة، 53-54.

[62] السخاوي، وجيز الكلام في الذيل علي دول الاسلام، جـ3، 968-972؛ ابن اياس، بدائع الزهور، جـ3، ص226، 228-230، 235، 237، 325، ابن طولون، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ق1، 70، 73-75 ؛ إعلام الوري بمن ولي نائباً من الاتراك بدمش الشام

غير أن ما يعنينا من هذه الحملات الثلاث انما هو أمر الحملة الأولى التي بدأت عام 890هـ/1485م، ويرجع ذلك بطبيعة الحال لارتباط أخبار هذه الحملة وما تمخضت عنه من نتائج بنقش اثاري مؤرخ بعام 901هـ/1496م.

وفحوي هذه الأخبار، كما يستدل من المصادر التاريخية، هو أنه بعد أن تقابل كل من الجيشين المملوكي بقيادة الاتابكي ازبك والعثماني بقيادة الأمير أحمد بن هرسك، كان النصر حليف الجيش المملوكي الذي استطاع أن يوقع هزيمة منكرة بالجيش العثماني، وما صحب ذلك من قتل الكثيرين من أفراده وتشتت بعضهم الآخر، زيادة على أسر عدد كبير من بينهم أحمد بك بن هرسك قائد الجيش العثماني، وتضيف هذه المصادر فتذكر أن الجيش المملوكي المنتصر قد عاد إلي القاهرة ودخلها في ذي القعدة عام 891هـ/1486م، وعن تفصيل ذلك يذكر ابن اياس "*فلما دخل العسكر إلي القاهرة كان لهم يوم مشهود حتى رجت لهم القاهرة، وكان قدامهم الأسري من عسكر ابن عثمان* –أي السلطان بايزيد الثاني– *وهم مشاة في زناجير* (سلاسل) *وصناجيق ابن عثمان منكسه، وكان صحبتهم جماعة من امرائه وهم في زناجير علي خيول، ودخل الأمير أحمد بن هرسك راكباً وفي عنقة زنجير، وكان ابن هرسك من أعيان أمراء ابن عثمان، فلما عرضوا علي السلطان وهو بالحوش عاتب أحمد بك بن هرسك ووبخه بالكلام ثم سلمه إلي الأمير قانصوه خمسمائة أمير آخور كبير، ثم وزع بقية الاسري علي جماعة من المباشرين حتى قضاة القضاة، ثم أخلع علي الأتابكي أزبك وبقية الأمراء ونزلوا إلي دورهم لما انقضي امر الحركة*."[63]

والحق أن الأدلة المادية المستمدة من النقوش الآثارية وبخاصة النقوش الانشائية تؤيد ما ذكرته المصادر التاريخية بل وتتطابق معه، ومنها النقش الانشائي لقبة يعقوب شاه المهمندار بالقاهرة (لوحتا 4–5) والمؤرخ بعام 901هـ/ 1496م، ونظرًا لأهمية هذا النقش أفردنا له دراسة مستقلة؛[64] ويتضمن هذا النقش وصفاً لهذه الحملة ونتائجها وذلك علي النحو التالي:

"*وتوجه العساكر المنصورة إلي مملكة الروم لرد عساكرهم، فلما أن تقابل العسكران وهجمت العساكر المنصورة عليهم كالاسود الضراغم فضيقوا عليهم الأرض بما رحبت فما وسعهم الا الفرار، ففروا كحمر مستنفرة فرت من قسورة فوقع في قبضتهم باش عساكرهم، أي: القائد بن هرسك ومن دونه، وشبع من لحوم قتلاهم الضباع والذئاب والنسور فأحضروهم في السلاسل والغلال بين يدي الحضرة المعظمة وصناجقهم منكسة بالحوش الشريف وكان يوماً ما كتب مثله في تواريخ الامم السالفة ... .*"[65]

وبعد فإن مطابقة ما ورد في النقش مع ما ذكره ابن اياس يكفي لإثبات تلك العلاقة القائمة بين التاريخ والآثار وأنه لا غنى لاحدهما عن الآخر إذا ما أردنا أن نقدم صورة نقية أقرب ما تكون إلى الحق والواقع.

الكبري، 95–96؛ طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، 166–173 ؛ عبد التواب، قايتباي المحمودي، 167–271؛ غوانمه، دراسات في تاريخ الاردن وفلسطين، 232–233 ؛ عبد الدايم، مصر في عصري المماليك والعثمانيين، 155–156.

[63] ابن اياس، بدائع، جـ3، ص235.

[64] نقش كتابي غير تقليدي من أواخر العصر المملوكي الجركسي، دراسة تحليلية في المضمون، ص1–20، لوحات 1–3.

[65] Berchem,Corpus,II,PP.547-548.

ثالثًا : المغرب والأندلس

1- من التاريخ السياسي

أ- عصر الأغالبة

اتسم عهد زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب المعروف بزيادة الله الأول (201-223هـ/816-837م) بكثرة الفتن والثورات التي اندلعت في عهده، ومن أخطرها ثورة منصور بن نصر الطنبدي، وتشير المصادر التاريخية إلي أن هذه الثورة كانت من القوة بحيث أنه لم يبق بيد زيادة الله سوى قابس والساحل ونفزاوة وطرابلس، كما طلبوا من زيادة الله الرحيل من أفريقية ومنحه الأمان على نفسه وأهله، وضرب منصور الطنبدي السكة باسمه، وكانت أحداث الثورة ووقائعها فيما بين عامي 209-211هـ/824-826م.[66]

والحق أن الادلة المادية المستمدة من النقوش الاثاريه وبخاصة نقوش السكة تثبت وتؤيد ما ذكرته المصادر التاريخية بشأن هذه الثورة، وسيطرة منصور بن نصر الطنبدي على غالبية ممتلكات زيادة الله الأغلبي، باستثناء بعضها المشار إليها سابقًا، وضرب السكة باسمه، إذ يحتفظ متحف باردو بتونس بدرهم فضي ضرب بإفريقية عام 210هـ/825م،[67] وتتضمن نقوشه في مركز الوجه شهادة التوحيد فضلا عن كلمتين متكررتين وهما "بخ بخ" وفي الهامش البسملة غير الكاملة ومكان وتاريخ الضرب بصيغة "بسم الله ضرب هذا الدرهم بافريقية سنة عشرة ومايتين" (لوحة 6).

لوحة (6) نقش سكة فضية (درهم) (محفوظة بمتحف باردو بتونس) ضرب أفريقيا سنة 210هـ/825م باسم منصور بن نصر الطنبدي (عن: حامد العجابي)

أما الظهر فتتضمن نقوشه في المركز اسم الرسول صلي الله عليه وسلم واسم الثائر منصور بن نصر، زيادة على كلمتين احداهما عدل وتمثل الشعار الذي رفعته الثورة لجذب الناس ومؤازرتهم لها، وقد حل محل شعار الأغالبة الذي ورد على سكتهم وهو "غلب"، والكلمة الثانية وهي منصـــور

تشير إلى لقب الطنبدي وانتصاره على زيادة الله الأغلبي أما كلمة منصور الاولى فهي تشير بطبيعة الحال إلى اسم الطنبدي، أما هامش الظهر فيتضمن الاشارة إلى الرسالة المحمدية.

ومهما يكن من أمر فإنه لولا بذور الخلاف والنزاع الذي قام بين منصور بن نصر الطنبدي وبين قائده عامر بن نافع الذي أدهشه نفوذ سيده واتساع رقعة البلاد التي دانت له ودخلت في طاعته، لما انتهت هذه الثورة، ولكان تاريخ الأغالبة غير الذي نقرأه اليوم.[68]

---

[66] ابن الاثير ، الكامل مج5، 484-485 ابن الآبار ،الحلة السيراء جـ2، 283-383؛ ابن عذاري،البيان،جـ1، .89-201 ؛ سالم، تاريخ المغرب في العصر الاسلامي،295-298؛ بن قربه، المسكوكات المغربية، 243-245 ؛ الحسيني، دراسات عن نقود الثوار والشعارات والمناسبات المضروبة في افريقيا، 33-35؛ الطالبي ،الدولة الأغلبية، التاريخ السياسي، 190-229.

[67] عبد الوهاب، حسن حسني ، ورقات، ق1، 431؛ العجابي، جامع المسكوكات العربية بافريقية، 23؛ الحسيني، دراسات عن نقود الثوار، 34-35، بن قربه، المسكوكات المغربية، 245-2470؛ منصور، النقود الإسلامية، 201 -202؛ دينار نادر للثائر منصور بن نصر الطنبدي، 488-504.

[68] سالم، تاريخ المغرب، ص298، بن قربة، المسكوكات المغربية،ص247 0

ب- العصر الفاطمـــي

بعد وفاة الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي في عام 322هـ/ 933م تفجرت كثير من الثورات في بلاد المغرب، ومن أخطرها ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني الزناتي المعروف بصاحب الحمار لركوبه حمارا أشهب، وقد شغلت هذه الثورة عهد الخليفة القائم بالله كله (322-334هـ/933-945م) وزيادة عن عامين من عصر ابنه وخليفته المنصور اسماعيل (334-341هـ/945-952م) أي أنها استغرقت نحو 16 عامًا، وليس أدل على خطورة هذه الثورة وأهمية القضاء عليها عام (336هـ/947م) بالنسبة للخلافة الفاطمية أن الخليفة المنصور إسماعيل قد سجل انتصاره على أبي يزيد بانشاء مدينة المنصورية في عام 337هـ/948م.[69]

أما عن هذه الثورة، فتشير المصادر التاريخية إلى أن صاحب الحمار لما عظم أمره، واستفحل خطره وأحس بقوته جاهر بعدائه للفاطميين واستطاع أن يستولي على القيروان عام 333هـ/ 944م وأن يضرب فيها في العام نفسه السكة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تشير هده المصادر إلى أن المنصور إسماعيل بعد أن اعتلى عرش الخلافة الفاطمية عام 334هـ/945م "لم يتسم بالخليفة ولاغير السكة ولاغير الخطبة ولا البنود، وبقي كذلك حتى فرغ من أمر أبي يزيد، فلما فرغ منه أظهر موت أبيه وتسمى بالخلافة."[70]

والحق أن الادلة المادية المستمدة من النقوش الاثارية وبخاصة نقوش السكة تؤيد وتثبت ما ذكرته المصادر التاريخية بشأن هذين الأمرين، فبالنسبة للأمر الأول يوجد دينار ضرب في القيروان عام 333هـ/ 944م (شكل رقم 18، لوحة7) وهو نفس العام الذي ذكرته المصادر، وتتضمن نقوش هذا الدينار[71] النصوص التالية: **الوجه:** المركز "ربنا الله/لاحكم الاالله/ وحده لاشريك الله/الحق المبين" الهامش "بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينر بالقيروان سنة ثلث وثلثين وثلثمائة."

شكل (18): تفريغ لنقش سكة صاحب الحمار (عن: صالح بن قربة)

لوحة (7): نقش سكة ذهبية (دينارضرب القيروان سنة 333هـ/ 944م باسم صاحب الحمار وشعاراته (عن: وليم قازان)

[69] سالم ، تاريخ المغرب ، ص 536 545، ابن قربه، المسكوكات المغربية، ص334.

[70] ابن خلدون، العبر، مج4،ص 40-45 ؛ ابن الابار، الحلة السيراء، جـ2، 387،391 ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، 315 ؛ سالم، تاريخ المغرب، 536-545؛ العبادي، سياسة الفاطميين، 202-203؛ ابن قربه، المسكوكات المغربية، 409-413 ؛ الحسيني، دراسات عن نقود الثوار، 35-38، الشابي، دولة صاحب الحمار ونقوده، 590-601 ؛ العجابي، جامع المسكوكات، 24-25 ؛ اسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب، 632-352 ؛ المجدوب، الصراع المذهبي بأفريقية، 194-202؛ الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب 247-270-280-306؛ ابراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية، 90-92؛ ولمزيد من التفاصيل عن مصادر هذه الثورة انظر: عباس ، ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد (نظرة تقويمية)، 113-126.

[71] عبد الوهاب، ورقات، ق1، 440 ؛ الشابي، دولة صاحب الحمار ونقوده، 598-601 ؛ الحسيني، دراسات عن نقود الثوار، 36 ؛ بن قربه، المسكوكات المغربية، 415-417 ؛ بيتس ودوران، فن العملة الاسلامية، 370 رقم 440.

الظهر : المركز " العزة لله/محمد/رسول/الله/خاتم النبيين "

الهامش الداخلي " الذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه أولئك هم المفلحون"

الهامش الخارجي : " محمد رسول الله أرسله بالهدي ودين الحق ليظهره علي الدين كله ولو كره المشركون".

ومما لاشك فيه أن ما أضافه صاحب الحمار على سكته من شعارات إلى شعار الخوارج (لاحكم الا لله) وهي (ربنا الله الحق المبين) و(العزة لله) و(الذين أمنوا به وعزروه. المفلحون) ما هو الا تعبيرا لطبيعة الوضع السياسي العام في بلاد المغرب يومئذ وتأكيدا لما يبتغيه من حركته الثورية وهو القضاء علي هذه الخلافة الشيعية والخلاص منها، وهو ما يتفق مع ما ذكرته المصادر من أن صاحب الحمار كان زعيم الخوارج الاباضية النكارية أتباع ابن فندين الذين أنكروا امامة عبد الوهاب بن رستم، وكان يدعو الي تكفير الشيعة واستباحة الاموال والدماء والخروج على الفاطميين لانحرافهم عن مبادئ الإسلام بسبهم لأبي بكر وعمر (رضي الله عنهما)، ولم تقتصر شعاراته على السكة فحسب، بل نقش بعضها الآخر على البنود، ومنها بند مكتوب عليه "نصر من الله وفتح قريب علي يدي الشيخ ابي يزيد ، اللهم انصر وليك على من سب أولياءك، وبند اخر مكتوب عليه "قاتلوا أئمة الكفر... إلى آخر الآية"، وبند ثالث مكتوب عليه "قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم" وبند رابع مكتوب عليه "محمد رسول الله، أبوبكر الصديق، عمر الفاروق"، وبند خامس مكتوب عليه "لااله الا الله الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا" وغير ذلك.[72]

أما عن الأمر الثاني فتوجد بعض الدنانير التي ضربت فيما بين عامي 334-336هـ /645-947م لا تتضمن نقوشها أي اشارة إلي المنصور إسماعيل وألقابه على الرغم من أن تاريخ ضرب هذه الدنانير يقع في فترة حكم المنصور إسماعيل بعد أن تولي الخلافة عقب وفاة أبيه عام 334هـ/945م وقد أمر بكتمان خبر وفاة والده خشية أن يؤثر ذلك في حماس جيشه وفتور عزيمتهم، مما يتيح لصاحب الحمار وجيشه النصر، ولذلك أبقى الأمور على حالها كما كانت عهد أبيه لاسيما الخطبة والسكة والبنود، زيادة على أنه لم يتسم بالخليفة حتى تم له النصر على صاحب الحمار في عام 336هـ/947م فأعلن عن موت أبيه وتسمي بالخلافة.[73]

ومن هذه الدنانير دينار ضرب بالقيروان في عام 335هـ/946م (لوحة8) تتضمن نقوشه النصوص التالية:[74]

الوجه: المركز "محمد/ابو القسم /لااله الا الله /وحده لاشريك له /المهدي بالله".

الهامش "محمد رسول الله أرسله بالهدي ودين الحق ليظهره علي الدين كله"

الظهر المركز: الامام / القائم بالله / محمد / رسول الله/ أمير المؤمنين".

---

[72] ابن خلدون، العبر، مج4،ص40-45 ، ابن الأبار، الحلة السيراء،جـ2،ص387-391 ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، جـ، ص216-220؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا ،جـ1، ص75-89 ؛ سالم ، تاريخ المغرب، ص537 ، 539-540 ، 539-540، ابن قربه، المسكوكات المغربية، 414. بالإضافة إلى الدنانير توجد أيضاً دراهم لثورة صاحب الحمار، انظر، منصور، النقود الإسلامية، 300-303؛ درهم نادر لأبي يزيد مخلد بن كيداد صاحب الحمار، 7-27.

[73] القرشي، عيون الاخبار، جـ5،ص291؛ المقريزي،اتعاظ الحنفا،جـ1،ص89

[74] ابن قربة، المسكوكات المغربية، 334-335؛ العجابي، جامع المسكوكات، 198 ؛ Condia, Momnaies Fatimites, 354, No20

الهامش الداخلي "بسم الله ضرب هذا الدينر بالقيروان سنة خمس وثلثين وثلثمائة".

الهامش الخارجي "وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليـم".

أما الدنانير التي ضربت عقب قضائه علي ثورة صاحب الحمار336هـ/947م وحتى وفاته في عام 341هـ/ 952م فتتضمن نقوشها اسمه وألقابه كخليفة وهي الإمام المنصور إسماعيل أمير المؤمنين.

ومن هذه الدنانير دينار ضرب بالمهدية في شهر ذي القعدة عام 336هـ/947م أي بعد عشرة آشهر من قضائه على ثورة صاحب الحمار في المحرم 336هـ/947م وتتضمن نقوش هدا الدينار النصوص التالية:[75]

الوجه : المركز "الامام /لااله / الاالله / المنصور بالله"

الهامش: " بسم الله ضرب هذا الدينر بالمهدية شهر ذي القعدة من سنة ست وثلثين وثلثماية "0

الظهر : المركز "اسماعيل/محمد /رسول الله / أمير المؤمنين".

الهامش :"محمد رسول الله أرسله بالهدي ودين الحق ليظهره علي الدين كله ولو كره المشركون".

جـ - عصر دولة بني حماد

كان أمراء قلعة بني حماد والناصرية (بجاية) يضربون السكة بأسماء الخلفاء الفاطميين إعلانا لتبعيتهم السياسية أو الاسمية على الأقل، وظل الأمر على ذلك حتي عهد يحي بن العزيز بالله (515-547هـ /1121 - 1152م) اخر أمراء بني حماد الذي خلع طاعة الخليفة الفاطمي واعترف بالخليفة العباسي المعاصر له وهو المقتفي لأمر الله (530-555هـ/1135-1160م)، وفي ذلك يذكر ابن خلدون "واستحدث -أي يحيي بن العزيز بالله- السكة ولم يحدثها أحد في قومه تأدبا مع خلفائهم العبيديين، وأن سكته في الدينار ثلاثة سطور ودائرة في كل وجه ،فدائرة الوجه الواحد: واتقوا يوما ترجعون فيه الي الله ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون، والسطور لا إله إلا الله محمد رسول الله يعتصم بحبل الله يحيي بن العزيز بالله الأمير المنصور، ودائرة الوجه الآخر: بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينار بالناصرية سنة ثلاث وأربعين وخمسماية وفي سطوره الإمام أبو عبد الله المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين العباسي.[76]

والحق أن الأدلة المادية المستمدة من النقوش الآثارية وبخاصة نقوش السكة تثبت ما ذكره ابن خلدون وتؤيده، إذ عثر علي دينار ذهبي في حفائر قلعة بني حماد بالجزائر تتطابق نقوشه تماماً مع ما ذكره ابن خلدون زيادة علي تاريخ الضرب وهو 543هـ/1148م.[77]

د- عصر دولة بني مرين

أشارت المصادر التاريخية إلى طبيعة العلاقات القائمة بين بني مرين بالمغرب ودولة بني نصر (دولة بني الأحمر) بغرناطة وأنها قد اتخذت أطواراً عديدة بين مد وجزر فتارة يسودها الوئام والود والصداقة وتارة

---

[75] ابن قربة ، المسكوكات المغربية، ص336 ؛ العجابي، جامع المسكوكات، 200 ؛ Cndia,Mommaies, p.356,No22 -

[76] ابن خلدون، العبر، جـ6، 177.

[77] بن قربة، المسكوكات المغربية، 512-513؛ يوسف، دراسة مقارنة للآيات القرآنية علي السكة الإسلامية، 180-182؛ منصور، النقود الإسلامية، 151، 152؛ العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة، 220؛ عويس، دولة بني حماد، صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، 214-215؛

Beylie, La Kalaa des Beni Hammad, 88, 114; Hozard, The Numismatic History of the late medieval North America, 96.

أخرى تتوتر العلاقات بشدة فيسودها التوجس والعداء والإضطراب بل والخضوع أحياناً وهو ما سجلته الروايات التاريخية لأحداث عهود كل من محمد الغالب بالله ومحمد الرابع وأبي الحجاج يوسف الأول ومحمد الخامس من سلاطين بني نصر وأبي الحسن على وأبي العباس أحمد المستنصر بالله وأبي فارس عبد العزيز الثاني من سلاطين بني مرين.[78]

والحق أن الأدلة المادية المستمدة من النقوش الآثارية وبخاصة نقوش السكة –المعروفة حتى الآن– إنما تثبت وتؤكد حقيقة ما رددته المصادر التاريخية حول طبيعة العلاقة بين الدولتين وهو ما يستدل من النقوش الكتابية المسجلة على عدد من الدنانير المضاعفة ضرب كل من سجلماسه وفاس ومراكش وسبته فضلاً عن أنصاف وأرباع دراهم ضرب فاس وسبته.[79]

2- من التاريخ الاقتصادي

اهتم المرينيون بالموازين والمكاييل اهتماماً كبيرًا، غير أن ما يعنينا هنا هو ما يرتبط بتحقيق المكاييل خاصة وتعديلها علي المد النبوي كما يستدل من المصادر التاريخية والنقوش الآثارية علي السواء. ومن ذلك ما اشارت اليه تلك المصادر من أن السلطان المريني يوسف بن يعقوب قد عمل على تحقيق المكاييل فأمر في عام 693هـ/1293م بتعديل الصيعان على المد النبوي فصار الصاع المريني من أربعة أمداد بمد الرسول صلي الله عليه وسلم، وهو يعادل كيلاً سعته 6,924 لتراً، وستون من هذا الصاع هو الوسق الذي يسمي في المغرب بالصفحة، وهو يعادل كيلًا سعته 365,44 لترًا، وقام السلطان ابو سعيد الأول بتعديل مد آخر علي مد اخية يوسف المذكور، ومن بعده قام السلطان أبو الحسن المريني بتعديل مد يوسف بن يعقوب أيضًا.[80]

وكان الغرض من تعديل الامداد النبوية (أو الأمداء) علي ذلك النحو أن تكون مرجعًا في تحقيق الصاع والوسق، وقد ظل الاهتمام بتحقيق المكاييل المغربية وتعديل الأمداد قائما حتى أواخر العصر المريني.[81] والحق أن الأدلة المادية الباقية المستمدة من النقوش الآثارية وبخاصة نقوش الفنون التطبيقية أو الزخرفية الإسلامية تؤيد ما ذكرته المصادر التاريخية وتؤكده، ومن هذه النقوش ما هو مسجل على مدين محفوظين بمتحف البطحاء بفاس، ويتضمن نقش المد الأول (لوحة 9) الصيغة التالية "*بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، أمر بتعديل هذا المد المبارك مولانا أمير المسلمين أبو الحسن بن مولانا أمير المسلمين أبي سعيد بن مولانا أمير المسلمين أبي يوسف بن عبد الحق أيده الله ونصره علي المد الذي امر بتعديله مولانا أبو يعقوب رحمة الله تعالي، علي المد الذي عدل الحسين بن يحي البسكري بمد ابراهيم بن عبد الرحمن الجايشي الذي عدل بمد الشيخ ابي علي منصوربن يوسف القوامي، وكان ابو علي عدل مده بمد*

---

[78] ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، مج 1 ، 536–537، مج 4، 321–322 ؛ اللمحة البدرية في الدولة النصرية، 80–81 ؛ كناسة الدكان بعد إنتقال السكان، 25 ؛ ابن خلدون، العبر، جـ 7، 260، 262، 349–355، 361–362 ؛ ابن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، 35؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، 52؛ عنان، نهاية الأندلس، 95 ، 126–127.

[79] قام بدراسة هذه المسكوكات د.عاطف منصور في بحثه الموسوم بـ : «دور النقود في إبراز العلاقة بين دولة بني نصر بالأندلس والدول المعاصرة لها بالمغرب»، مجلة كلية الآثار – جامعة القاهرة (العدد 9)، 1998م، 40–51.

[80] القلقشندي، صبح الأعشي، جـ5، 177؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، 384؛ السلاوي، الاستقصاء، جـ3، 90–91؛ المنوني، ورقات على حضارة المرينيين، 137.

[81] المنوني، ورقات، 137–138.

الفقيه ابي جعفر احمد بن علي بن غزلون، وعدل أبو جعفر مده بمد الفقيه القاضي ابي جعفر أحمد بن الأخطل، وعدل أبو جعفر مده بمد خالد ابو إسماعيل، وعدل خالد مده بمد ابي بكر أحمد بن حمد، وعدل أبو بكر مده بمد أبي إسحاق إبراهيم بن الشنظير وبمد أبي جعفر بن ميمون، وكانا عدلا مديهما بمد زيد بن ثابت صاحب رسول الله صلي الله عليه وسلم وعلي آله وصحبه وذريته وشرف وكرم، وكان تعديله في الخامس عشر من رجب الفرد الذي من سنه تسع وخمسين، وكان تعديل المد الذي عدله الحسين بن يحيي البسكري في شهر رمضان المعظم عام سبعة وستمائة، وكان تعديل المد الذي أمر بتعديله مولانا أبو يعقوب رحمة الله تعالي في جمادي الأولي عام ثلاثة وتسعين وستمائة، وعدل الآن هذا المد المبارك تبركاً بالنبي صلي الله عليه وسلم وإحيا (كذا) لسنته وذلك في جمادي الأخير عام أربعة وثلاثين وسبع مائة بمدينة فاس حرسها الله تعالي والحمد لله رب العالمين كثيرًا."[82] أما نقش المد الثاني فيتطابق مع نقش المد الأول باستثناء تاريخ التعديل فهو في هذا المد الثاني شهر رجب عام 734هـ/1333م،[83] بينما في المد الأول شهر جمادى الآخر من نفس العام كما سبق القول.

لوحة (9): النقوش الكتابية على المد المريني المحفوظ بمتحف البطحاء بفاس المؤرخ بشهر جمادى الأخر سنة 734هـ/ 1333م
(مهداة من: عبد العزيز صلاح سالم خبير ألاثار بالإيسيسكو)

[82] المنوني، ورقات، ص138–140.

[83] المنوني، ورقات، 140–141، ومما له دلالته أنه توجد عدة أمداد (أو أمداء أخرى) من العصر العلوي بالمغرب محفوظة في المتاحف والمجموعات الخاصة بالمملكة المغربية وتزدان بالنقوش الكتابية المهمة التي تبين استمرار إجراء التعديل خلال العصر العلوي وبصفة خاصة الفترة من 1100هـ/ 1688م إلى 1211هـ/1796م ؛ صلاح، الأمداء النبوية في الدولة العلوية بالمغرب الأقصى.

قائمة المصادر والمراجع

1- المصادر العربية

- ابن الأثير(علي بن محمد بن عبدالكريم) ، الكامل في التاريخ، مج5، مجهول، العيون والحدائق، جـ3
- ابن الأحمر، (أبو الوليد إسماعيل ابن الأحمر)، روضة النسرين في دولة بني مرين.
- ابن الجوزي، (عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ق 6هـ/12م، جـ8.
- ابن الحسين،(يحي بن الحسين بن قاسم)، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، جـ2
- ابن الخطيب (لسان الدين بن الخطيب) ت ق 8هـ/ 14م ، الإحاطة في أخبار غرناطة
- ابن الخطيب (لسان الدين بن الخطيب) ت ق 8هـ/ 14م ،كناسة الدكان بعد إنتقال السكان (حول العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة والمغرب في القرن الثامن الهجري) ، تحقيق محمد كمال شبانه ، القاهرة ، 1966م.
- ابن الديبع،(وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر)، بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد .
- ابن المقرئ، (إسماعيل بن ابي بكر)، ت837هـ/1433م عنوان الشرف الوافي في علم الفقة والعروض والتاريخ والنحو والقوافي، تحقيق عبد الله الانصاري ، مكتبة جدة، ط5،(1986م).
- ابن خلدون، (عبدالرحمن بن محمد بن خلدون) ت ق 9هـ/15م، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مج3،
- ابن عبد الحكم، (عبد الرحمن بن عبد الحكم.)، ت ق 2هـ/ 8م ، فتوح مصر وأخبارها،
- ابن قتيبة، الامامة والسياسة، جـ1، تحقيق طه الزيني، القاهرة (1976م)،
- ابن واصل،(جمال الدين محمد بن سالم) ،ت 697هـ/1297م، مفرج الكروب في اخبار بني أيوب، جـ5، تحقيق حسنين ربيع، مراجعة وتقديم سعيد عاشور ،القاهرة (1975م)
- ابو الفدا (إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب) ت ق 8هـ/ 14م ، المختصر في أخبار البشر، جـ2،
- أبو يوسف، يعقوب بن ابراهيم صاحب ابي حنيفة، ت 182هـ/398م، كتاب الخراج، تحقيق وتعليق محمد ابراهيم البنا، دار الإصلاح (1981م)
- الأصفهاني، (الحسن بن عبد الله، ت ق 3هـ/9م)، بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي، الرياض، دار اليمامة، (1968م)
- البلاذري، (أبو العباس أحمد بن يحيى بلاذري) فتوح البلدان، جـ1، تحقيق المنجد،
- الجزيري، (عبد القادر بن محمد)، ت 977هـ/1569م، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة، جـ2، تحقيق حمد الجاسر، الرياض، دار اليمامة، (1983م).
- الخزرجي، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، جـ2، تحقيق محمد بسيوني عسل، مصر، مطبعة الهلال بالفجالة، (1332هـ/1914م)، حاشية 1؛ تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، بيروت، دار الآداب، ط2،(1403هـ/1983م).
- الدواداري،(أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري) كنز الدرر وجامع الغرر، جـ6،
- السيوطي، (جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر)، ت ق 10هـ/16م ،حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جـ1، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، (1968م)
- السيوطي، (جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر)، ت ق 10هـ/16م، تاريخ الخلفاء
- الطبري، (أبوجعفر محمد بن جرير) ت ق 3هـ/9م، تاريخ الرسل والملوك
- العلوي، (علي بن محمد بن عبد الله)، سيرة الهادي إلي الحق يحيي بن الحسين، تحقيق سهيل زكار، دمشق، دار الفكر (1972م)
- القاضي النعمان،(أبو حنيفة بن محمد المغربي)، ت 363هـ/973م، المجالس والمسيرات، تحقيق الحبيب الفقي وآخرون، تونس، الجامعة التونسية (1978م) (1978م).

- القرشي، (الداعي إدريس عماد الدين)، عيون الأخبار وفنون الآثار (الجزء الخامس)، أعده للنشر فرحات الدشراوي بعنوان "تاريخ الدولة الفاطمية بالمغرب من كتاب عيون الاخبار، (1979م)
- القلقشندي،(شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد) ق 8هـ/14م مآثر الإنافة في معالم الخلافة
- القلقشندي،(شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد) ق 8هـ/14م، صبح الأعشي في كتابة الإنشا جـ5،
- المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي، ت. 845هـ/ 1441–1442م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، تحقيق سيد (أيمن فؤاد)، 4 أجزاء، لندن، 2003.
- الحجي، (عبد الرحمن علي الحجي)، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92 – 897 هـ / 711 – 1492 م.
- المقريزي (تقي الدين أحمد بن على بن عبدالقادر) ، ت ق 9هـ/ 15، القفي الكبير (تراجم مغربية ومشرقية من الفترة العبيدية) اختيار وتحقيق محمد اليعلاوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، (1987م).
- الأزرقي، (محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي أبو الوليد)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش جـ2.
- الفاكهي، (محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي المكي)، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، جـ4.

2- المراجع العربية والمعربة

- ابراهيم، حسن تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط4(1981م).
- ابن عبد المجيد،(اج الدين عبد الباقى بن عبد المجيد)، تاريخ اليمن المسمي بهجة الزمن.
- ابن عذاري، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت نحو ٦٩٥هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، جـ1.
- ابن قربة، المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد،
- الأنصاري، عبد القدوس، بين التاريخ والآثار، جدة، مطابع الروضة، ط3، (1397هـ / 1977م).
- البيلي، محمد بركات، استيلاء الفاطميين علي مصر، ضمن كتاب بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق، القاهرة، اتحاد المؤرخين العرب، (1418هـ/1997م).
- الجابر، النقود العربية الإسلامية في متحف قطر، جـ2
- الحارثي، مدخل؛ سد من العصر الاموي في وادي داماء ببني الحارث بالطائف، دراسة أثرية مقارنة ،مجلة علم الآثار والتراث، العدد الأول، الرياض، الجمعية السعودية للدراسات الأثرية.
- حوليات المتحف الوطني للآثار القديمة بالجزائر ، العدد 11، 1422هـ/ 2002م.
- خان، مجيد، المغنم، علي سدود اثرية في منطقة الطائف، مجلة إطلال، العدد 6، الرياض، (1402هـ/ 1982م).
- خليفة، تاثيرات مملوكية عثمانية متبادلة في مجال صناعة التحف المعدنية، دراسات اثارية اسلامية، المجلد الرابع، القاهرة، المجلس الاعلي لاثار المصرية، (1991م).
- خليفة، طراز المسكوكات الرسولية، الاكليل، العدد2، السنة 17، صنعاء، وزارة الاعلام والثقافة، (صيف1409هـ/1989م).
- الدشراوي، فرحات، الخلافة الفاطمية بالمغرب، التاريخ السياسي والمؤسسات، ترجمة حمادي الساحلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، (1994م).
- الراشد، دنانير عباسية نادرة ضرب صنعاء، محفوظة في متحف الآثار – كلية الآداب – جامعة الملك سعود، مجلة جامعة الملك سعود، المجلد الثالث، الآداب (2)، الرياض (1411هـ/1991م).
- الراشد، سعد، الآثار الإسلامية في الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين، مجلة العصور، مج3، جـ2، (ذو القعدة 1408هـ/ يوليو 1988م).
- سعاد ماهر، الطائف وج وما بها من اثار النبي صلي الله عليه وسلم والمساجد الأثرية، الدارة، العدد 3، السنة 6، (جمادي الثاني 1401هـ/ ابريل 1981م).
- سيد، (ايمن فؤاد)، الدولة الفاطمية في مصر، تفسير جديد، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، (1992م).

- السيف، عبد الله محمد، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، (1403هـ/ 1983م).
- الصقار، سامي خماس، سد معاوية في الطائف، دراسة وتعليق، الدارة، العدد 2، السنة 11، (المحرم 1406هـ/ سبتمبر 1985م.
- صلاح ، عبد العزيز ، الأمداء النبوية في الدولة العلوية بالمغرب الأقصى ، دراسة أثرية فنية ، بحث مقبول للنشر بالعدد (16) من مجلة كلية الآثار – جامعة القاهرة ، 2011–2012م.
- الطميحي، فيصل علي، الدرهم الرسولي الجديد المضروب سنة 736هـ، عالم المخطوطات والنوادر، المجلد الاول، العدد 2، الرياض، عالم الكتب، (رجب، ذو الحجة 1417هـ/يناير – يونيو 1997م).
- عباس ، احسان ،ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد (نظرة تقويمية)، ضمن اشغال المؤتمر الاول لتاريخ الغرب العربي وحضارته،جـ1 ، سلسلة الدراسات التاريخية ، الجامعة التونسية ، مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية،(1979م).
- عجيمي، هشام، قلعة المويلح، دراسة معمارية حضارية، رسالة ماجستير، غير منشورة، مكة المكرمة، قسم الحضارة والنظم الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، (1403هـ/ 1983م).
- عويس، عبد الحليم، دولة بني حماد، صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، القاهرة، دار الصحوة، ط2، (1991م).
- غبان، نقش غير منشور من بلدة المويلح (مؤرخ بعام 967هـ/1560م)، ضمن كتاب دراسات في الآثار (الكتاب الأول) المشار إليه سابقا، الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة.
- الفعر، تطور الكتابات والنقوش،
- الفقي، اليمن في ظل الإسلام.
- فهمي، دنانير يمنية نادرة ضرب صعدة، ضمن بحث بعنوان: دراسة لبعض التحف الإسلامية – 2 –، مجلة كلية الآداب، مج22، جـ1، مايو 1960م، مطبعة جامعة القاهرة (1964م).
- ماضي، محمد عبد الله، دولة اليمن الزيدية، نشأتها – تطورها – علاقاتها، المجلة التاريخية المصرية – المجلد 3، العدد الأول، (مايو 1950م).
- مجلة عالم المخطوطات والنوادر ، مج 9، العدد 2، رجب – ذو الحجة 1425هـ / سبتمبر 2004م – فبراير 2005م.
- المعيقل، خليل، واخرون، المواقع الأثرية في الجزيرة العربية، ضمن الموسوعة العربية العالمية، المجلد 42، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط2، (1419هـ/1999م).
- منصور ، عاطف ، النقود الإسلامية وأهميتها في دراسة التاريخ والآثار والحضارة الإسلامية ، القاهرة ، 2008.
- المنوني، محمد، ورقات علي حضارة المرينيين، سلسلة بحوث ودراسات رقم 2.، الرباط ، منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، (1996م).
- النقوش الكتابية الإسلامية وقيمتها التاريخية (المبحث الثاني)، سلسلة دراسات آثارية، العدد 3، (قيد النشر).
- النقوش الكتابية الإسلامية وقيمتها التاريخية، المبحث الأول، سلسلة دراسات اثارية، العدد 2، الرياض، الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، رمضان – شوال 1420هـ/ يناير 2000م.

3- المراجع الأجنبية

- Balog, P. The coinage of the Ayyubids, London, (1980).
- Beylie, L, La Kalaa des Beni Hammad, une Capital Berbere de L afrique du Nord Xiieme Siecles, Paris, (1908).
- Hozard, H., the Numismatic History of the late medieval North America, Numismatic (studies, No., 80) New York, the American Numismatic society, (1952).
- Condia,F.,Momnaies Fatimites du Musee du Bardo,Revue Tunisienne,(1936).
- Miles, G, Early Islamic Inscriptions Near Taif in the Hijaz, Journal of Near Eastern Studies, vol, 7 New York, (1948); Grohamans, Expedition.
- Walker, J., A Catalogue of the arab – Byzantine and post – Reform Umaiyad Coins, London, (1956).